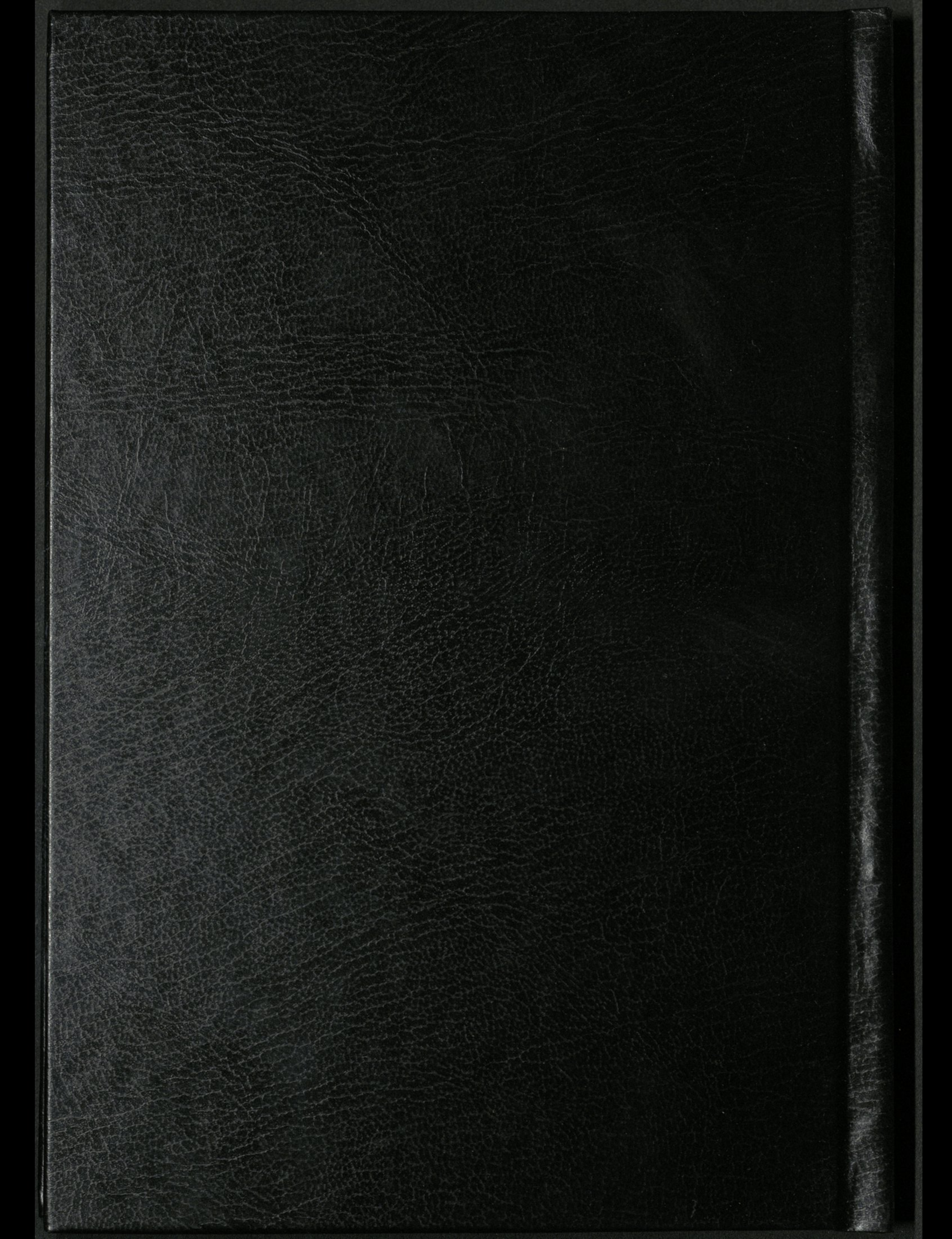
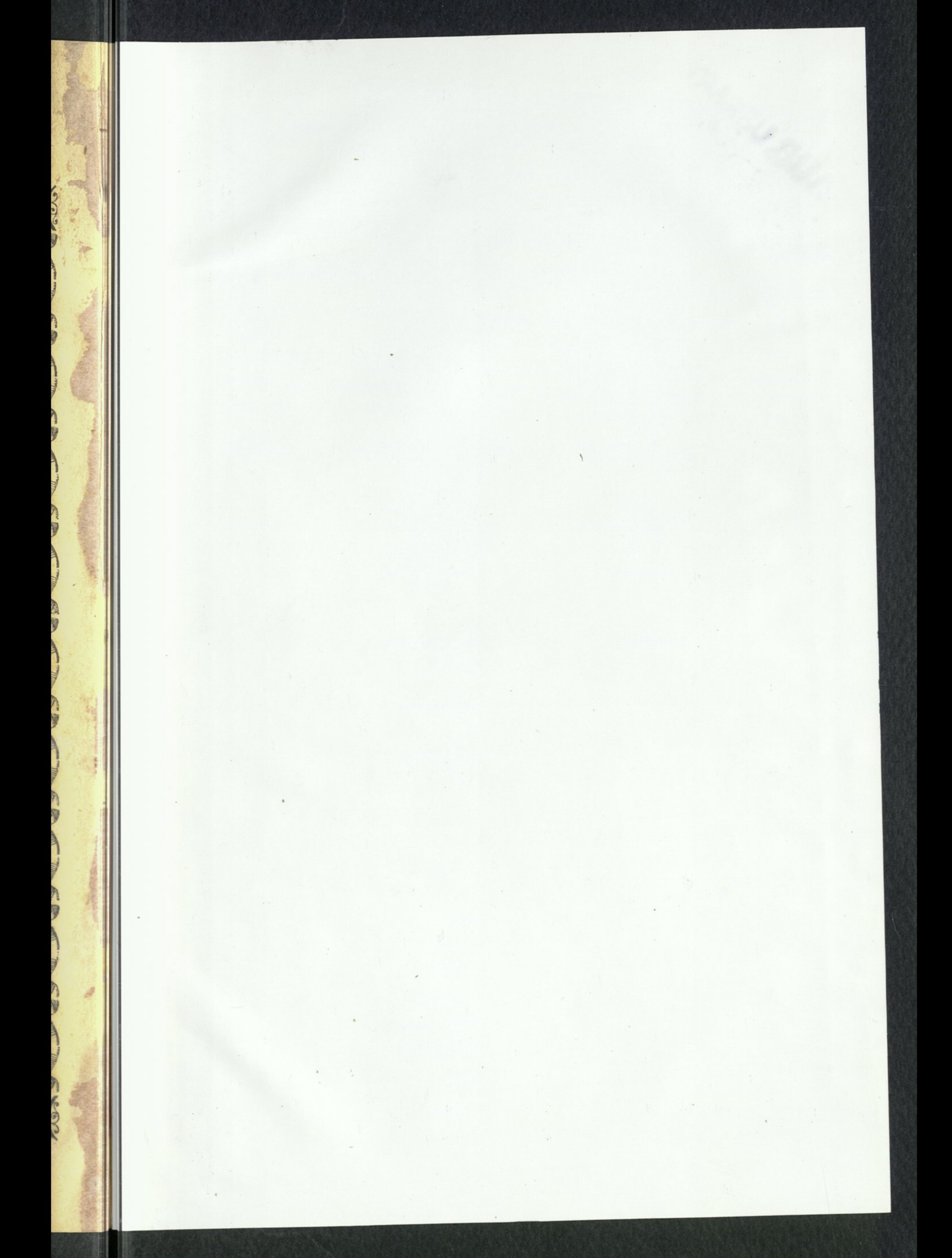








﴿ مجموع رسائل ﴾

من تأليف

شيخ الاسلام تقى الدين ابى العباس احمد بن عبد الحليم
ابن عبد السلام بن تيمية الحرّانى الدمشقى
المتوفي سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

(الأولى)

﴿ رسالة العبودية ﴾

في تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾

عنى بتصحيحه
السيد محمد بدر الدين ابو فراس النعسانى الحلبى

الطبعة الأولى

على نفقة السادات أحمد ناجى الجمالى ومحمد امين الخانجي وأخيه
سنة ١٣٢٣ هـ

طبع بالمطبعة الحسينية المصريه
بجوار مسجد الامام الحسين رضى الله تعالى عنه
لصاحبها ومدير ادارتها محمد عبد اللطيف الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام العالم العلامة محيي السنة ومميت البدعة أبو العباس أحمد بن تيمية رضى الله عنه وأرضاه عن قوله عز وجل (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) فما العبادة وفروعها وهل مجموع الدين داخل في العبادة أم لا وما حقيقة العبودية وهل هى أعلا المقامات أم فوقها شئ من المقامات وليبسط لنا القول في ذلك فأجاب رضى الله عنه

الحمد لله رب العالمين • العبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضاء بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هى من العبادات لله وذلك أن العبادة لله هى الغاية المحبوبة لله والمرضية له التى خلق الخلق لها كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه (اعبدوا الله مالكم من اله غيره) وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) كما قال في الآية الأخرى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم) وجعل ذلك لازما لرسله الى الموت كما قال (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى (وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون

الليل والنهار لايفترون) وقال تعالى (فالذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وذم المستكبرين عنها بقوله (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) وقال (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) الآيات ولما قال الشيطان (فبما أغويتنى لازينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) قال الله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وقال في وصف الملائكة بذلك (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى عن المسيح الذى ادعيت فيه الالهية والبنوة ﴿ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل﴾ ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الاسراء (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) وقال في الايحاء (فأوحى الى عبده ماأوحى) وقال في الدعوة (وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وقال في التحدى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) فالدين كله داخل في العبادة وقد ثبت في الصحيح أن جبريل لما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابى وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان فقال الاسلام أن تشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال فما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره قال فما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ثم قال في آخر الحديث هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم فجعل هذا كله من الدين والدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال دنته فدان أى أذللته فذل ويقال ندين الله

وندين لله أى نعبد الله ونطيعه ونخضع له فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له والعبادة أصل معناها الذل أيضا يقال طريق معبد اذا كان مذللا قد وطئته الاقدام لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له فان آخر مراتب الحب هو التتيم وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الصبابة لانصباب القلب اليه ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب ثم العشق وآخرها التتيم يقال تيم الله أى عبد الله فالمتيم المعبد لمحبوبه ومن خضع لانسان مع بغضه له فلا يكون عابدا ولو أحب شيأ ولم يخضع له لم يكن عابدا له كما قد يحب ولده وصديقه ولهذا لايكفى أحدهما في عبادة الله بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شئ وأن يكون الله عنده أعظم من كل شئ بل لايستحق المحبة والذل التام الا الله فكل ماأحب لغير الله فمحبته فاسدة وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلا قال تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناءكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) فجنس المحبة يكون لله ورسوله كالطاعة تكون لله ورسوله والارضاء لله ورسوله (والله ورسوله أحق أن يرضوه) والايتاء لله ورسوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) وأما العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك فلا يكون الا لله وحده كما قال تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فالايتاء لله ولرسوله لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وأما الحسب وهو الكافي فهو الله وحده كما قال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وقال تعالى (ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أى حسبك وحسب من اتبعك الله ومن ظن ان المعنى حسبك الله والمؤمنون معه فقد غلط غلطا فاحشا كما قد بسطناه في غير هذا الموضع وقال تعالى (أليس الله بكاف عبده) وتحرير ذلك أن العبد يراد به المعبد الذى عبده الله فذلله ودبره وصرفه وبهذا الاعتبار فجميع المخلوقين عباد الله من الابرار والفجار والمؤمنين والكفار وأهل الجنة وأهل النار اذ هو ربهم كلهم ومليكهم لايخرجون

عن مشيئته وقدره وكلماته التامات التى لايجاوزها بر ولا فاجر فما شاء كان وان لم يشاؤا وما شاؤا ان لم يشأه لم يكن كما قال تعالى (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم لارب لهم غيره ولا مالك لهم سواه ولا خالق الا هو سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه وسواء علموا بذلك أو جهلوه ولكن أهل الايمان منهم علموا ذلك واعترفوا به بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحدا له مستكبرا على ربه لايقر ولايخضع له مع علمه بان الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق اذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له كان عذابا على صاحبه كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى (فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فاذا عرف العبد ان الله ربه وخالقه وانه مفتقر اليه ومحتاج اليه عرف عبوديته المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع اليه ويتوكل عليه لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه وقد يعبده مع ذلك وقد يعبد الشيطان والاصنام ومثل هذه العبودية لاتفرق بين أهل الجنة وأهل النار ولا يصير بها الرجل مؤمنا كما قال الله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فان المشركين كانوا يقرون ان الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة وهى الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر وابليس معترف بهذه الحقيقة وأهل النار قال ابليس (رب انظرنى الى يوم يبعثون) وقال (رب بما أغويتنى لازينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) وقال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) وقال (أرأيتك هذا الذى كرّمت علىّ) وأمثال هذا من الخطاب الذى يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره وكذلك أهل النار قالوا (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين) وقال (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال

أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا) فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية التى هى عبادته المتعلقة بالهيته وطاعة أمره وأمر رسله كان من جنس ابليس وأهل النار وان ظن مع ذلك انه من خواص أولياء الله تعالى وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهى الشرعيان كان شر من أهل الكفر والالحاد ومن ظن ان الخضر أو غيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الارادة ونحو ذلك كان قوله هذا شرا من أقوال الكافرين بالله ورسله حتى يدخل في النوع الثانى من معنى العبد وهو العبد بمعنى العابد فيكون عابدا لله لايعبد الا اياه فيطيع أمره وأمر رسله ويوالى أولياءه المؤمنين المتقين ويعادى أعداءه وهذه العبادة متعلقة بالهيته تعالى ولهذا كان عنوان التوحيد لااله الا الله بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده أو يعبد معه الها آخر فالاله الذى يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم والاجلال والاكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك وهذه العبادة هى التى يحبها الله ويرضاها وبها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله وأما العبد بمعنى المعبد سواء أقر بذلك أو أنكره فتلك يشترك فيها المؤمن والكافر وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعى التى يحبها ويرضاها ويوالى أهلها ويكرمهم بحسبه وبين الحقائق الكونية التى يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر التى من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع ابليس اللعين والكافرين برب العالمين ومن اكتفى بها في بعض الامور دون بعض أو في مقام أو حال نقص من ايمانه وولايته لله بحسب مانقص من الحقائق الدينية وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون وكثر فيه الاشتباه على السالكين حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ المنتسبين الى التحقيق والتوحيد والعرفان مالا يحصيهم الا الله الذى يعلم السر والاعلان والى هذا أشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه بأن كثيرا من الرجال اذا وصلوا الى القضاء والقدر امسكوا الا أنافانى انفتحت لى فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون منازعا للقدر لامن يكون موافقا للقدر والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى أمر الله به ورسوله لكن كثير من الرجال غلطوا فانهم قد يشهدون مايقدر على أحدهم من المعاصى والذنوب أو مايقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون ان هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضاء به ونحو ذلك دينا وطريقا

وعبادة فيضاهون المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) وقالوا (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) وقالوا (لو شاء الرحمن ماعبدناهم) ولو هدوا لعلموا ان القدر أمرنا أن نرضى به ونصبر على موجبه في المصائب التى تصيبنا كالفقر والمرض والخوف قال تعالى (ماأصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهدقلبه) قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وقال تعالى (ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال احتج آدم وموسى فقال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه فهل وجدت ذلك مكتوبا علىّ قبل أن أخلق قال نعم قال فحج آدم موسى وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظنا ان المذنب يحتج بالقدر فان هذا لايقوله مسلم ولا يقوله عاقل ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لابليس وقوم نوح وقوم عاد وكل كافر ولا موسى أيضا لام آدم عليه السلام لاجل الذنب فان آدم تاب الله عليه فاجتباه وهداه ولكن لامه لاجل المصيبة التى لحقتهم بالخطيئة ولهذا قال له فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فأجابه آدم بأن هذا كان مكتوبا قبل أن يخلق فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدرا وما قدر من المصائب يجب الاستسلام له فانه من تمام الرضاء بالله ربا وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب واذا أذنب فعليه أن يستغفر الله ويتوب من صنوف المعائب ويصبر على المصائب قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال (وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيأ) وقال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) وقال يوسف (انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين) وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد في سبيل الله الكفار والمنافقين ويوالى أولياء الله ويعادى أعداء الله ويحب في الله ويبغض في الله تعالى كما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم) الى قوله (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء

أبدا حتى تؤمنوا بالله وحـده) وقال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهـم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهـم أولئك كتب في قلوبهم الايمـان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى(أفنجعل المسلمين كالمجرمين) وقال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) وقال تعالى (ومايستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياءولا الأموات) وقال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجـلا سلما لرجل هل يستويان مثلا) وقال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنافهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون والحمد لله بل أكثرهم لايعلمون ضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شيء وهو كلّ على مولاه أينما يوجهه لايأت بخير هل يستوى هوومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وقال تعالى (لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) ونظائر ذلك كثير ممايفرق الله فيه بين أهل الحق والباطل وأهل الطاعة والمعصية وأهل البر والفجور وأهل الهدى والضلال وأهل الغى والرشاد وأهل الصدق والكذب فمن شهد الحقيقة الكونية دون الدينية سوّى بين هذه الاجناس المختلفة التى فرق الله بينها غاية التفريق حتى يؤل به الأمر الى أن يسوى الله بالاصنام كما قال تعالى عنهم (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) بل قد آل الأمر بهؤلاء الى أن سووا الله بكل موجود وجعلوا مايستحقه من العبادة والطاعة حقا لكل موجود اذ جعلوه هو وجود المخلوقات وهذا من أعظم الكفر والالحاد والكفر برب العباد وهؤلاء يصـل بهم الكفر الى أنهم لايشهدون انهم عباد لابمعنى أنهم معبدون ولا بمعنى أنهم عابدون اذ يشهدون أنفسهم هى الحق كما صرح بذلك طواغيتهم كابن عربى صاحب الفصوص وأمثاله من الملحدين المفـترين كابن سبعين وأمثاله ويشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون وهذا ليس بشهود لحقيقة لا كونية ولا دينية بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقيقة الكونية حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق وجعلوا كل وصف مذموم وممدوح نعتا للخالق وللمخلوق اذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم وأما المؤمنون بالله ورسوله عوامهم وخواصهم الذين هم أهل الكتاب كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لله أهلين من الناس قيل من هم

يارسول الله قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته فهؤلاء يعلمون أن الله رب كل شيء
ومليكه وخالقه وان الخالق سبحانه مباين للمخلوقات ليس هو حالا فيها ولا متحدا بها
ولا وجوده وجودها والنصارى كفرهم الله بأن قالوا بالحلول والاتحاد بالمسيح خاصة
فكيف من جعل ذلك عاما في كل مخلوق ويعلمون مع ذلك ان الله أمر بطاعته وطاعة
رسوله ونهى عن معصيته ومعصية رسوله وانه لايحب الفساد ولايرضى لعباده الكفر
وان على الخلق أن يعبدوه ويطيعوا أمره ويستعينوا به على ذلك كما قال (اياك نعبد
واياك نستعين) ومن عبادته وطاعة أمره الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحسب
الامكان والجهاد في سبيله لاهل الكفر والنفاق فيجتهدون في اقامة دينه مستعينين به
دافعين مزيلين بذلك ماقدر من السيئات دافعين بذلك ماقد يخاف من ذلك كما يزيل
الانسان الجوع الحاضر بالاكل ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك اذا أزال البرد ودفعه
باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه كما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم أرأيت
أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ فقال هى
من قدر الله وفي الحديث ان الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والارض فهذا
حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين لله وكل ذلك من العبادة وهؤلاء الذين يشهدون
الحقيقة الكونية وهى ربوبيته تعالى لكل شيء ويجعلون ذلك مانعا من اتباع أمره الدينى
الشرعى على مراتب في الضلال فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما فيحتجون بالقدر في
كل مايخالفون فيه الشريعة وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس
قول المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) وقالوا
(لو شاء الرحمن ماعبدناهم) وهؤلاء من أعظم أهل الارض تناقضا بل كل من احتج
بالقدر متناقض فانه لايمكنه أن يقر كل آدمى على مافعل فلا بد اذا ظلمه ظالم أو ظلم
الناس ظالم وسعى في الارض بالفساد وأخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج
ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر التى لاقوام للناس بها أن يدفع
هذا العدوان ويعاقب الظالم بما يكف عدوان أمثاله فيقال له ان كان القدر
حجة فدع كل أحد يفعل مايشاء بك وبغيرك وان لم يكن حجة بطل أصل قولك
وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية لايطردون هذا القول ولا
يلتزمونه وانما هم بحسب أهوائهم وآرائهم كما قال فيهم بعض العلماء أنت عند الطاعة
قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب وافق هواك تمذهبت به ومنهم صنف يدعون

التحقيق والمعرفة فيزعمون أن الأمر والنهى لازم لمن شهد لنفسه فعلا وأثبت له صنعا اما من شهد أن أفعاله مخلوقة أو أنه مجبور على ذلك وان الله هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات فانه يرتفع عنه الأمر والنهى والوعد والوعيد وقد يقولون من شهد الارادة سقط عنه التكليف ويزعم أحدهم ان الخضر سقط عنه التكليف لشهوده الارادة فهؤلاء يفرقون بين العامة وبين الخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا أن الله خالق أفعال العباد وانه مريد لجميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما وبين من يراه شهودا فلا يسقطون التكليف عن من يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن عن من يشهده فلا يرى لنفسه فعلا أصلا وهؤلاء يجعلون الجبر واثبات القدر مانعا من التكليف على هذا الوجه وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين الى التحقيق والمعرفة والتوحيد وسبب ذلك انه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما يقدر عليه خلافه كما ضاق نطاق المعتزلة وغيرهم من القدرية عن ذلك ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهى الشرعيين وردت القضاء والقدر الذى هو ارادة الله العامة وخلقه لافعال العباد وهؤلاء أثبتوا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهى في حق من شهد القدر اذ لم يمكنهم نفي ذلك مطلقا وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة ولهذا لم يكن في السلف من هؤلاء أحد وهؤلاء يجعلون الأمر والنهى للمحجوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل الى هذه الحقيقة سقط عنه الأمر والنهى وصار من الخاصة وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء كفر صريح وان وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن الأمر والنهى لازم لكل عبد مادام عقله حاضراً الى أن يموت لا يسقط عنه الأمر والنهى لا بشهوده القدر ولا بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فان أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهى فانه يقتل وقد كثرت مثل هذه المقالات في المتأخرين وأما المتقدمون من هذه الامة فلم تكن هذه المقالات معروفة بينهم وهذه المقالات هى محادة الله ورسوله ومعاداة له وصد عن سبيله ومشاقة له وتكذيب لرسله ومضادة له في حكمه وان كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقد ان هذا الذى هو عليه طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغنائه عنها بما يحصل له من الاحوال القلبية أو ان الخمر حلال له لكونه من

الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر أو ان الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو ذلك ولا ريب ان المشركين الذين كذبوا الرسل يترددون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله فهولاء الاصناف فيهم شبه من المشركين اما أن يبتدعوا واما أن يحتجوا بالقدر واما أن يجمعوا بين الأمرين كما قال تعالى عن المشركين (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) وكما قال تعالى عنهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) وقد ذكر عن المشركين ماابتدعوه من الدين الذى فيه تحليل الحرام والعبادة التى لم يشرعها الله بمثل قوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه) الى آخر السورة وكذلك في سورة الاعراف في قوله تعالى (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) الى قوله (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) الى قوله (قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) الى قوله (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) الى قوله (قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وهوءلاء قد يسمون ماأحدثوه من البدع حقيقة كما يسمون مايشهدون من القدر حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذى لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويذوقه ويجده ونحو ذلك وهوءلاء لا يحتجون بالقدر مطلقا بل عمدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم وجعلهم لما يرونه ويهوونه حقيقة وأمرهم باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله نظير بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم الذين يجعلون ما ابتدعوه من الاقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون مادلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة اما أن يحرفوه عن مواضعه واما أن يعرضوا عنه بالكلية فلا يتدبرونه ولا يعقلونه بل يقولون نفوض معناه الى الله مع اعتقادهم لنقيض مدلوله واذا حقق على هوءلاء مايزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة وكذلك أولئك اذا حقق عليهم مايزعمونه من حقائق

أولياء الله المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الاهواء التى يتبعها أعداء الله لاأولياؤه وأصل ضلال من ضل هو تقديم قياسه على النص المنزل من عند الله واختياره الهوى على اتباع أمر الله فان الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب مايحبه العبد فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته فأهل الايمان لهم من الذوق والوجد مثل مابينه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا واما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عينة مابال أهل الاهواء لهم محبة شديدة لاهوائهم فقال أنسيت قوله تعالى (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) أو نحو هذا الكلام فعباد الاصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله) وقال (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) ولهذا يميل هؤلاء الى سماع الشعر والاصوات التى تهيج المحبة المطلقة التى لاتختص بأهل الايمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصلبان ومحب الاوطان ومحب الاخوان ومحب المردان ومحب النسوان وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وماكان عليه سلف الأمة فالمخالف لما بعث الله به رسله من عبادته وطاعته وطاعة رسله لايكون متبعا للدين الذى شرعه الله كما قال (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على شريعة الله وتارة يحتجون بالقدر الكونى على شريعة الله كما أخبر به تعالى عن المشركين كما تقدم ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم قدرا وهم مستمسكون بالدين في أداء الفرائض المشهورة واجتناب المحرمات المشهورة لكن يغلطون في ترك ماأمروا به من الاسباب التى هي عبادة ظانين أن العارف اذا شهد القدر أعرض عن ذلك مثل من

يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على أن من شهد القدر علم أن ماقدر سيكون فلا حاجة الى ذلك وهذا غلط عظيم فان الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة أهلا خلقها لهم وهم في أصلاب آباءهم وبعمل أهل الجنة يعملون وخلق للنار أهلا خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم وبعمل أهل النار يعملون وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بأن الله كتب المقادير فقالوا يارسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا أعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة فما أمر الله به عباده من الاسباب هو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى (فاعبده وتوكل عليه) وفي قوله (قل هو ربي لااله الا هو عليه توكلت واليه متاب) وقول شعيب عليه السلام (عليه توكلت واليه أنيب) ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الاعمال دون الواجبات فتنقص بقدر ذلك ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل أحدهم عما أمر به من العبادات والشكر ونحو ذلك فهذه الامور ونحوها كثيرا ماتعرض لأهل السلوك والتوجه وانما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذى بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهرى كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك ان السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الاسماء مقصودها واحد ولها أصلان أحدهما أن لايعبد الا الله والثانى أن يعبده بما أمر وشرع لا بغير ذلك من الاهواء والبدع قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا) وقال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف ولا هم يحزنون) وقال تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) فالعمل الصالح هو الاحسان وهو فعل الحسنات والحسنات هى ماأحبه الله ورسوله وهوماأمر به من ايجاب و استحباب فما كان من البدع التى في الدين ليست مشروعة فان لايحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما ان مايعلم أنه فجور كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح وأما قوله (ولا يشرك

بعبادة ربه أحدا) وقوله (أسلم وجهه لله) فهو اخلاص الدين لله وحده وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيأ وقال الفضيل بن عياض في قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا على ما أخلصه وأصوبه قال العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة فان قيل فاذا كان جميع ما يحبه الله داخل في اسم العبادة فلماذا عطف عليها غيرها كقوله (اياك نعبد واياك نستعين) وقوله (فاعبده وتوكل عليه) وقول نوح (أعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وكذلك قول غيره من الرسل قيل هذا له نظائر كما في قوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وكذلك (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) وايتاء ذى القربى هو من العدل والاحسان كما أن الفحشاء والبغى من المنكر وكذلك قوله (والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة) واقام الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب وكذلك قوله (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعونا رغبا ورهبا) ودعاؤه رغبا ورهبا من الخيرات وأمثال ذلك في القرآن كثير وهذا الباب يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر فيعطف عليه تخصيصا له بالذكر لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص وتارة تكون دلالة الاسم تتنوع بحال الافراد والاقتران فاذا أفرد عم واذا قرن بغيره خص كاسم الفقير والمسكين لما أفرد أحدهما في قوله تعالى (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) وقوله (أو اطعام عشرة مساكين) دخل فيه الآخر ولما قرن بينهما في قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين) صارا نوعين وقد قيل ان الخاص المعطوف على العام لا يدخل في العام حال الاقتران بل يكون من هذا الباب والتحقيق أن هذا ليس بلازم قال تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) وقال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومريم) وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام كما في نوح وابراهيم وموسى وعيسى وتارة لكون العام فيه اطلاق قد لا يفهم منه العموم كما في قوله (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) فقوله يؤمنون بالغيب يتناول الغيب الذى يجب الايمان به لكن فيه اجمال وليس فيه دلالة على أن من الغيب ما أنزل اليك وما أنزل

من قبلك وقد يكون من المقصود أنهم يؤمنون بالمخبر به وهو الغيب وبالاخبار بالغيب وهو ماأنزل اليك وما أنزل من قبلك ومن هذا الباب قوله تعالى (أتل ماأوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة) وقوله تعالى (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) وتلاوة الكتاب هى اتباعه كما قال ابن مسعود في قوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) قال يحللون حلاله ويحرمون حرامه ويؤمنون بمتشابهه ويعملون بمحكمه فاتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها لكن خصصها بالذكر لمزيتها وكذلك قوله لموسى (اننى أنا الله لااله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) واقام الصلاة لذكره من أجل عبادته وكذلك قوله تعالى (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) وقوله (اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقوله (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فان هذه الامور هى أيضا من تمام تقوى الله فكذلك قوله (فاعبده وتوكل عليه) فان التوكل والاستعانة هى من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصيتها بأنها هى العون على سائر أنواع العبادة اذ هو سبحانه لا يعبد الا بمعونته اذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه أو ان الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدّا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى في المسيح (ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) وقال تعالى (وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) وقال تعالى (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وقال تعالى (ومن آياته

الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون) وقال تعالى(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وهذا ونحوه مما فيه وصف أكابر المخلوقات بالعبادة وذمه من خرج عن ذلك متعدد في القرآن وقد أخبر الله انه أرسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى لبنى اسرائيل (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) (فاياى فاتقون)وقال (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال تعالى(وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)وقال تعالى (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل انى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ماشئتم من دونه) وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليهم السلام اعبدوا الله مالكم من اله غيره وفي المسند عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى وقد بين أن عباده هم الذين ينجون من الشيطان قال الشيطان (فبما أغويتنى لازينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) قال الله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وقال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) وقال في حق يوسف عليه السلام (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وقال (سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) وقال(انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وبها نعت كل من اصطفاه من خلقه كقوله تعالى(واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) وقوله (واذكر عبدنا داود ذا الايدى انه أواب) وقال عن سليمان (نعم العبد انه أواب) وعن أيوب (نعم العبد) وقال (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه) وقال عن نوح عليه

السلام(ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) وقال (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) وقال(وانه لماقام عبد الله يدعوه) وقال (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا)وقال (فأوحى الى عبده ماأوحى) وقال(عينا يشرب بها عباد الله) وقال (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) ومثل هذا متعدد في القرآن

﴿ فصل ﴾ اذا تبين لك ذلك فمعلوم ان الناس في هذا الباب يتفاضلون فيه تفاضلا عظيما وهو تفاضلهم في حقيقة الايمان وهم ينقسمون فيه الى عام وخاص ولهذا كانت ربوبية الرب سبحانه لهم فيها عموم وخصوص وضروب ولهذا كان الشرك في هذه الامة أخفى من دبيب النمل وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش اذا أعطى رضى واذا منع سخط فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد القطيفة وعبد الخميصة وذكر فيه ماهو دعاء وخبر وهو قوله تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش والنقش اخراج الشوكة من الرجل والمنقاش مايخرج به الشوكة وهذه حال من اذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه اذا أعطى رضى وان منع سخط كما قال تعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه ان حصل له رضى وان لم يحصل له سخط فهذا عبد مايهواه من ذلك وهو رقيق له اذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فمااسترق القلب واستعبده فهو عبده ولهذا يقال

العبد حر ماقنع * والحر عبد ماطمع

وقال الشاعر

أطعت مطامعى فاستعبدتنى * ولو انى قنعت لكنت حرا

ويقال الطمع غل في العنق وقيد في الرجل فاذا زال الغل من العنق زال القيد من الرجل وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال الطمع فقر واليأس غنى وان أحدكم اذا يئس من شىء استغنى عنه وهذا أمر يجده الانسان من نفسه فان الامر الذى ييأس منه لايطلبه ولا يطمع به فلا يبقى قلبه فقيرا اليه ولاالى من يفعله وأما اذا

طمع في أمر من الامور رجاه وتعلق قلبه به فصار فقيرا الى حصوله والى من يظن انه سبب في حصوله وهذا في المال والجاه والصور وغير ذلك قال الخليل صلى الله عليه وسلم (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له) فالعبد لابد له من رزق وهو محتاج الى ذلك فاذا طلب رزقه من الله صار عبدا لله فقيرا اليه واذا طلبه من مخلوق صار عبدا لذلك المخلوق فقيرا اليه ولهذا كانت مسئلة المخلوق محرمة في الاصل وانما أبيحت للضرورة وفي النهى عنها أحاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد كقوله صلى الله عليه وسلم لاتزال المسئلة بأحدكم حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم وقوله من سأل الناس وله مايغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو خموشا أو كدوحا في وجهه وقوله لاتحل المسألة الا لذى غرم منقطع أو دم موجع أو فقر مدقع وهذا المعنى في الصحيح وفيه أيضا لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وقال ماأتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرف فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك فكره أخذه من سؤال اللسان واستشراف القلب وقال في الحديث الصحيح من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر وأوصى خواص أصحابه أن لايسألوا الناس شيأ أصلا وفي المسند ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يسقط من يده الشئ فلا يقول لأحد ناولنى اياه ويقول ان خليلى أمرنى أن لاأسأل الناس شيأ وفي صحيح مسلم وغيره عن عوف بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم بايعه في طائفة وأسر اليهم كلمة خفية أن لايسألوا الناس شيأ فكان بعض أولئك النفر ليسقط السوط من يد أحدهم فلا يقول لأحد ناولنى اياه وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق والنهى عن مسألة المخلوق في غير موضع كقوله ﴿ فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب ﴾ وقول النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله ومنه قول الخليل عليه السلام (فابتغوا عند الله الرزق) ولم يقل فابتغوا الرزق عند الله لان تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر كانه قال لاتبتغوا الرزق الا عند الله وقد قال تعالى (واسألوا الله من فضله) والانسان لابد له من حصول مايحتاج اليه من الرزق ونحوه ومن دفع مايضره وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله فله يسأل واليه يشتكى كما قال يعقوب (انما أشكو بثى وحزنى الى الله) والله تعالى ذكر في القرآن الهجر الجميل والصبر الجميل والصفح الجميل

وقد قيل ان الهجر الجميل هو الهجر بلا أذى والصفح الجميل صفح بلا معاتبة والصبر الجميل صبر بلا شكوى الى المخلوق ولهـذا قرئ على أحمد بن حنبل في مرضـه ان طاووسا كان يكره أنين المريض ويقول انه شكوى فما أن أحمد بن حنبـل حتى مات وأما الشكوى الى الخالق سبحانه فلا تنافي الصبر الجميل فان يعقوب عليه السلام قال (فصبر جميل) وقال (انمـا أشكو بثى وحزنى الى الله) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ في الفجر بسورة يونس ويوسف والنحل فمرّ بهذه الآية فبكى حتى سمع نشيجه من آخر الصفوف ومن دعا موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك وفي الدعاء الذى دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل به أهل الطائف مافعلوا اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى اللهم الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى غـير ان عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليـه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى سخطك أو يحل على غضبك لك العتبى حتى ترضى فلاحول ولا قوة الا بك وفي بعض الروايات ولا حول ولا قوة الا بك وكلما قوى طمع العبد في فضل الله ورحمتـه ورجائه لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت عبوديته له وحريته مما سواه فكما ان طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له ويأسه منه يوجب غناء قلبه عنه كما قيل • استغن عمن شئت تكن نظيره • وأفضل على من شئت تكن أميره • واحتج الى من شئت تكن أسيره • فكذلك طمع العبد في ربه ورجاه له يوجب عبوديته له واعراض قلبـه عن الطلب من الله والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله لاسيما من كان يرجو المخـلوق ولا يرجو الخالق بحيث يكون قلبه معتمدا اما على رياسته وجنوده وأتباعه وممـاليكه واما على أهله وأصـدقائه واما على أمواله وذخائره وأما على ساداته وكبرائه كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ممن هو قد مات أو يموت قال تعـالى (وتوكل عـلى الحى الذى لايموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا) وكل من علق قلبـه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه خضع قلبه لهم وصار فيـه من العبودية لهم بقدر ذلك وان كان في الظاهر أميرا لهـم مدبرا لهم متصرفا بهم فالعاقل ينظر الى الحقائق لاالى الظواهر فالرجل اذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد وهو في الظاهر

سيدها لانه زوجها وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها لاسيما اذا درت بفقره اليها وعشقه لها وانه لايعتاض عنها بغيرها فانها تحكم فيه حينئذ حكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذى لايستطيع الخلاص منه بل أعظم فان أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن فان من استعبد بدونه استرق وأسر لايبالى اذا كان قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا بل يمكنه الاحتيال في الخلاص وأما اذا كان القلب الذى هو الملك رقيقا مستعبدا متيما لغير الله فهذا هو الذل والاسر المحض والعبودية لما استعبد القلب وعبودية القلب وأسره هى التى يترتب عليها الثواب والعقاب فان المسلم لو أسره كافر واسترقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك اذا كان قائما بما يقدر عليه من الواجبات ومن استعبد بحق اذا أدى حق الله وحق مواليه له أجران ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالايمان لم يضره ذلك وأما من استعبد قلبه فصار عبدا لغير الله فهذا يضره ذلك ولو كان في الظاهر ملك الناس فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن الغنى غنى القلب قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وهذا لعمرى اذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة فأما من استعبد قلبه صورة محرمة امرأة أو صبى فهذا هو العذاب الذى لاثواب فيه وهؤلاء من أقل الناس ثوابا وأعظمهم عذابا فان العاشق لصورة اذا بقى متعلقا بها متعبدا لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد مالا يحصيه الا رب العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضررا عليه ممن فعل ذنبا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين كما قيل

سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى افاقة من به سكران

وقيل في آخر

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لايستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في حين

ومن أعظم هذا البلاء اعراض القلب عن الله فان القلب اذا ذاق طعم عبادة الله والاخلاص له لم يكن شئ قط عنده أحلى من ذلك ولا أطيب ولا ألذ والانسان لايترك محبوبا الا بمحبوب آخر يكون أحب اليه منه أو خوفا من مكروه فالحب الفاسد انما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح أو بالخوف من الضرر قال تعالى في حق يوسف عليه السلام (كذلك

لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) فالله يصرف عن عبده مايسوءه من الميل الى الصورة والتعلق بها ويصرف عنه الفحشاء باخلاصه لله ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله والاخلاص بغلبة نفسه على اتباع هواها فاذا ذاق طعم الاخلاص وقوى في قلبه انقهر له هواه بلا علاج قال الله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) فان في الصلاة دفعا للمكروه وهو الفحشاء والمنكر وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر الله وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه فان ذكر الله وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها فاما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع والقلب خلق يحب الحق ويريده ويطلبه فلما عرضت له ارادة الشر طلب دفع ذلك فانه يفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل ولهذا قال تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وقال (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم) وقال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا) فجعل سبحانه غض البصر وحفظ الفرج هو أزكى للنفس وبين ان ترك الفواحش من زكاة النفوس وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش والظلم والشرك والكذب وغير ذلك وكذلك طالب الرياسة والعلو في الارض قلبه رقيق لمن يعينه عليها ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم فيبذل لهم الاموال والولايات ويعفو عنهم ليطيعوه ويعينوه فهو في الظاهر رئيس مطاع وفي الحقيقة عبد مطيع لهم والتحقيق ان كلاهما فيه عبودية للآخر وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله واذا كان تعاونهما على العلو في الارض بغير الحق كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق فكل واحد من الشخصين هواه الذى استعبده واسترقه للآخر وهكذا أيضا طالب المال فان ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الامور نوعان منها مايحتاج اليه العبد كما يحتاج الى طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجاته بمنزلة حماره الذى يركبه وبساطه الذى يجلس عليه بل بمنزلة الكنيف الذى يقضى فيه حاجته من غير أن يستعبده فيكون هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ومنها مالا يحتاج اليه العبد فهذه لاينبغى له أن يعلق قلبه بها فاذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها وربما صار معتمدا على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من

العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة وهذا هو عبد لهذه الامور ولو طلبها من الله فان الله اذا أعطاه اياها رضى وان منعه اياها سخط وانما عبد الله من يرضيه مايرضى الله ويسخطه مايسخط الله ويحب ماأحب الله ورسوله ويبغض ماأبغضه الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداءه وهذا الذى استكمل الايمان كما في الحديث من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقال أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه فكان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأحب المخلوق لله لالوجه آخر فكان هذا من تمام حبه لله فان محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب فاذا أحب أنبياء الله وأولياءه لاجل قيامهم بمحبوبات الحق لالشىء آخر فقد أحبهم لله لالغيره وقد قال تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) ولهذا قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فان الرسول يأمر بما يحبه الله وينهى عن مايبغضه ويفعل مايحبه الله ويخبر بما يحب الله التصديق به فمن كان محبا لله لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر ويتأسى به فيما فعل ومن فعل هذا فقد فعل مايحبه الله فيحبه الله تعالى فجعل الله لأهل محبته علامتين اتباع الرسول والجهاد في سبيله وذلك لان الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول مايحبه الله من الايمان والعمل الصالح ومن دفع مايبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان وقد قال تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) فتوعد من كان أهله وماله أحب اليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد بل قد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وفي الصحيح ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له يارسول الله لأنت أحب الىّ من كل شىء الا نفسى فقال لاياعمر حتى أكون أحب اليك من

نفسك قال فو الله لأنت أحب الىّ من نفسى فقال الآن ياعمر فحقيقة المحبة لاتتم الا بموالاة المحبوب وهو موافقته في حبه مايحب وبغض مايبغض والله يحب الايمان والتقوى ويبغض الفسوق والعصيان ومعلوم ان الحب يحرك ارادة القلب وكلما قويت المحبة في القلب طلب فعل المحبوبات فاذا كانت المحبة تامة استلزمت ارادة جازمة في حصول المحبوبات فاذا كان العبد قادرا عليها حصلها وان كان عاجزا عنها ففقد مايقدر عليه من ذلك كان له كأجر الفاعل كما قال النبى صلى الله عليه وسلم من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيأ وقال ان بالمدينة رجالا ماسرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر والجهاد هو بذل الوسع والقدرة في حصول محبوب الحق ودفع مايكرهه الحق فاذا ترك العبد مايقدر عليه من الجهاد كان دليلا على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه ومعلوم ان المحبوبات لاتنال غالبا الا باحتمال المكروهات سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة فالمحبون للرياسة والمال والصور لاينالون مطالبهم الا بضرر يلحقهم في الدنيا مع مايصيبهم من الضرر في الدنيا والآخرة فالمحب لله ورسوله اذا لم يحتمل مايرى ذو الرأى من المحبين لغير الله في حصول محبوبهم دل ذلك على ضعف محبتـه لله اذا كان ماسلكه أولئك هو الطريق الذى يسير به العقل ومن المعلوم ان المؤمن أشد حبا لله قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) نعم قد يسلك المحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقا لايحصل بها المطلوب فمثل هذه الطريق لاتحمد اذا كانت المحبة صالحة محمودة فكيف اذا كانت المحبة فاسدة والطريق غير موصل كما يفعله المتهورون في طلب الرئاسة والمال والصور فى حب أمور توجب لهم ضررا ولا تحصل لهم مقصودا وانمـا المقصود الطرق التى يسلكها العقل لحصول مطلوبه اذا تبين هذا فكلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية وحرية عما سواه وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه والقلب فقير بالذل الى الله من جهتين من جهة العبادة والعلة الغائيـة ومن جهة الاستعانة والتوكل وهى العـلة الفاعلية فالقلب لايصلح ولا يفلح ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن الا بعبادة ربه وحبه والانابة اليه ولو حصل له كلما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن اذ فيه فقر ذاتى الى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه وبذلك يحصل

له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة وهذا لايحصل له الا باعانة الله له لايقدر على تحصيل ذلك له الا الله فهو دائما مفتقر الى حقيقة اياك نعبد واياك نستعين فانه لو أعين على حصول مايحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده ولم يحصل له عبادة الله بحيث يكون هو غاية مراده ونهاية مقصوده وهو المحبوب له بالقصد الاول وكلما سواه فانه يحبه لاجله لايحب شيأ لذاته الا الله فمتى لم يحصل له هذا لم يكن قد يحقق حقيقة لااله الا الله ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة وكان فيه من النقص والعيب بل ومن الآلام والحسرة والعذاب بحسب ذلك ولو سعى في هذا المطلوب فلم يكن مستعينا بالله متوكلا على الله مفتقرا اليه في حصوله لم يحصل له فان ماشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن فهو مفتقر الى الله من حيث هو المطلوب المحبوب المراد المعبود من حيث هو المسؤل المستعان به المتوكل عليه فهو الهه لااله له غيره وهو ربه لارب له سواه ولا تتم عبوديته لله الا بهذين فمتى كان محبا لغير الله لذاته أو ملتفتا الى غير الله أنه يعينه كان عبدا لما أحبه وعبدا لما رجاه بحسب حبه له ورجائه اياه واذا لم يحب لذاته الا الله وكلما أحبه سواه فانما أحبه له ولم يرج قط شيأ الا الله واذا فعل مافعل من الاسباب أو حصل ماحصل منها كان شاهدا ان الله هو الذى خلقها وقدرها وان كل من في السموات والارض فالله ربه ومليكه وخالقه وهو فقير اليه كان قد حصل له من تمام عبوديته لله بحسب ماقسم له من ذلك والناس في هذا على درجات متفاوتة لايحصى طرقها الا الله فأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم وأقربهم الى الله وأقواهم وأهداهم أتمهم عبودية لله من هذا الوجه وهذا هو حقيقة دين الاسلام الذى أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه وهو أن يستسلم العبد لله لالغيره فالمستسلم له ولغيره مشرك والممتنع عن الاستسلام له مستكبر وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة لايدخلها من في قلبه مثقال ذرة من كبر كما أن النار لايدخلها من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فجعل الكبر مقابل الايمان فان الكبر ينافي حقيقة العبودية كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما عذبته فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية والكبرياء أعلى من العظمة ولهذا جعلها بمنزلة الرداء كما جعل العظمة بمنزلة الازار ولهذا كان شعار الصلاة والأذان والاعياد هو التكبير وكان مستحبا في الامكنة العالية كالصفا والمروة واذا علا الانسان شرفا أو ركب دابة أو نحو ذلك وبه يطفأ الحريق وان عظم وعند الأذان يهرب الشيطان قال الله تعالى

(ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وكل من استكبر عن عبادة الله لابد أن يعبد غير الله فان الانسان حساس متحرك بالارادة وقد ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أصدق الاسماء حارث وهمام والحارث الكاسب الفاعل والهمام فعال من الهم والهم أول الارادة فالانسان له ارادة دائما وكل ارادة فلا بد لها من مراد تنتهى اليه فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وارادته فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وارادته بل استكبر عن ذلك فلا بد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب اما المال والجاه واما الصور واما مايتخذه الها من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والاوثان وقبور الانبياء والصالحين أو من الملائكة والانبياء الذين يتخذهم أربابا أو غير ذلك مما عبد من دون الله واذا كان عبدا لغير الله يكون مشركا وكل مستكبر فهو مشرك ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكبارا عن عبادة الله وكان مشركا قال الله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب) الى قوله (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) الى قوله (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) وقال تعالى (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) وقال تعالى (ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين) الى قوله (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) ومثل هذا في القرآن كثير وقد وصف فرعون بالشرك في قوله (وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك) بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكبارا عن عبادة الله كان أعظم اشراكا بالله لانه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره وحاجته الى المراد المحبوب الذى هو مقصود القلب بالقصد الأول فيكون مشركا بما استعبده من ذلك ولن يستغنى

القلب عن جميع المخلوقات الا بأن يكون الله هو مولاه الذى لايعبد الا اياه ولايستعين الا به ولا يتوكل الا عليه ولا يفرح الا بما يحبه ويرضاه ولا يكره الا مايبغضه الرب ويكرهه ولا يوالى الا من والاه الله ولا يعادى الا من عاداه الله ولا يحب الا لله ولا يبغض الا لله ولا يعطى الا لله ولا يمنع الا لله فكلما قوى اخلاص دينه لله كملت عبوديته لله واستغناؤه عن المخلوقات وكمال عبوديته لله يبريه من الكبر ومن الشرك فالشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود قال الله تعالى في النصارى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لااله الا هو سبحانه عما يشركون) وقال في اليهود (أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) وقال (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) ولما كان الكبر مستلزما للشرك والشرك ضد الاسلام وهو الذنب الذى لايغفره الله قال الله تعالى (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) كان الانبياء جميعهم مبعوثين بدين الاسلام فهو الدين الذى لايقبل الله غيره لامن الاولين ولا من الآخرين قال نوح عليه السلام (فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال تعالى في حق ابراهيم (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقال يوسف عليه السلام (توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) وقال موسى عليه السلام (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا) وقال تعالى (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) وقالت بلقيس (رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال تعالى (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) وقد قال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) وقال تعالى (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) فذكر اسلام الكائنات طوعا وكرها لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد العام سواء أقر المقر بذلك أو

أنكره وهم مدينون مدبرون فهم مسلمون له طوعا وكرها ليس لأحد من المخلوقات خروج عمـا شاءه وقدره وقضاه ولا حول ولا قوة الا به وهو رب العالمين ومليكهم يصرفهم كيف شاء وهو خالقهم كلهم وبارئهم ومصورهـم وكل ماسواه فهو مربوب مصنوع مفطور مأثور فقير محتاج معبد مقهور وهو الواحد القهار الخالق البارئ المصور وهو وان كان قد خلق ما خلقـه بأسباب فهو خالق السبب والمقدر له وهذا مفتقر اليه كافتقار هـذا وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل ولا دفع ضرر بل كل ماهو سبب فهو محتاج الى سبب آخر يعاونه والى مايدفع عنه الضرر الذى يعارضه ويمانعه وهو سبحانه وحـده الغنى عن كل ماسواه ليس له شريك يعاونه ولا ضـد يناويه ويعارضه قال تعالى (قل أرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هـل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) وقال تعـالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير) وقال تعالى عن الخليل (ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجونى في الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به الا أن يشاء ربى شيأ وسع ربى كل شئ علما أفلا تتـذكرون وكيف أخاف ماأشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله أينا لم يلبس ايمانه بظلم فقال انما هو الشرك ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم وابراهيم الخليـل امام الحنفاء المخلصين حيث بعث وقد طبق الارض دين المشركين قال الله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين) فبين أن عهده بالامامة لايتناول الظالم فلم يأمر سبحانه أن يكون الظالم اماما وأعظم الظلم الشرك قال تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) والأمة هو القـدوة بفعل الخير الذى يتم به كمال القدوة الذى يقتدى به والله تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب وانما بعث الانبياء بعده بملته قال تعالى (ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

وقال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) وقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) وقال تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قالوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقد ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم خير البرية فهو أفضل الانبياء بعد النبى صلى الله عليه وسلم وهو خليل الله وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه أنه قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقال لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعنى نفسه وقال لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبى بكر وقال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك وكل هذا في الصحيح وفيه انه قال ذلك قبل موته بأيام وذلك من تمام رسالته فان في ذلك تمام تحقيق مخالته لله تعالى التى أصلها محبة الله تعالى العبد خلافا للجهمية وفي ذلك تحقيق توحيد الله وأن لا يعبد الا الله ردا على أشباه المشركين وفيه رد على الرافضة الذين يبخسون الصديق حقه وهم أعظم المنتسبين الى القبلة اشراكا بالبشر والخلة هى كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب فانهم يقولون قلب متيم اذا كان متعبدا للمحبوب والتيم التعبد وتيم الله عبده وهذا أعلى الكمال حصل لابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم ولهذا لم يكن له من أهل الارض خليل اذ الخلة لا تحتمل الشركة فانه كما قيل في المعنى

قد تخللت مسلك الروح منى * وبذا سمى الخليل خليلا

بخلاف أصل الحب فانه صلى الله عليه وسلم قد قال في الحديث الصحيح في الحسن واسامة اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وسأله عمرو بن العاص أى الناس أحب اليك قال عائشة قال فمن الرجال قال أبوها وقال لعلى رضى الله عنه لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وأمثال ذلك كثير وقد أخبر تعالى أنه يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب المقسطين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وقال فسوف يأتى الله

بقوم يحبهم ويحبونه فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له حتى قال والذين آمنوا أشد حبا لله وأما الخلة فخاصة وقول بعض الناس أن محمدا حبيب الله وابراهيم خليل الله وظنه ان المحبة فوق الخلة قول ضعيف فان محمدا أيضا خليل الله كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة المستفيضة وما يروى ان العباس يحشر بين حبيب وخليل وأمثال ذلك فأحاديث موضوعة لاتصلح أن يعتمد عليها وقد قدمنا أن محبة الله محبة ماأحب كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار أخبر صلى الله عليه وسلم ان هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان لان وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له فمن أحب شيأ واشتهاه اذا حصل له مراده فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة أمر يحصل عقيب ادراك الملائم الذى هو المحبوب أو المشتهى ومن قال ان اللذة ادراك الملائم كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والاطباء فقد غلط في ذلك غلطا بينا فان الادراك يتوسط بين اللذة والمحبة فالانسان مثلا يشتهى الطعام فاذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة فاللذة تتبع النظر الى الشيء فاذا نظر اليه التذ واللذة تتبع النظر ليست نفس النظر وليست هى رؤية الشيء بل تحصل عقيب رؤيته قال تعالى (وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) وهكذا جميع مايحصل للنفس من اللذات والألم من فرح وحزن وأمثال ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب أو الشعور بالمكروه وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن فحلاوة الايمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد لحلاوة الايمان يتبع كال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما فان محبة الله ورسوله لايكتفى فيها بأصل الحب بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما كما تقدم وتفريعها أن يحب المرء لايحبه الا لله ودفع ضده أن يكره ضد الايمان أعظم من كراهية الالقاء في النار فاذا كان محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب المؤمنين الذين يحبهم الله لانه أكمل الناس محبة لله وأحقهم بأن يحب مايحبه الله ويبغض مايبغضه الله والخلة ليس فيها لغير الله نصيب بل قال لو كنت متخذا خليلا من أهل الارض لاتخذت أبا بكر خليلا علم مزيد مرتبة الخلة على مطلق المحبة والمقصود هو ان الخلة والمحبة لله تحقيق عبوديته وانما يغلط من يغلط في

هذه من حيث يتوهمون ان العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لامحبة معه وان المحبة فيها انبساط في الاهواء أو ادلال لا تحتمله الربوبية ولهذا يذكر عن ذى النون انهم تكلموا عنده في مسئلة المحبة فقال امسكوا عن هذه المسئلة لاتسمعها النفوس فتدعيها فكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية وقال من قال من السلف من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد ولهذا وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك الى نوع من الرعونة والدعوى التى تنافي العبودية وتدخل العبد في نوع من الربوبية التى لاتصلح الالله ويدعى أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الانبياء والمرسلين أو يطلبون من الله مالا يصلح بكل وجه الا لله لا يصلح للانبياء والمرسلين وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ وسببه ضعف تحقيق العبودية التى بينها الرسل وحررها الأمر والنهى الذى جاؤا به بل ضعف العقل الذى به يعرف العبد حقيقته واذا ضعف العقل وقل العلم بالدين وفي النفس محبة انبسطت النفس بحمقها في ذلك كما ينبسط الانسان في محبة الانسان مع حمقه وجهله ويقول أنا محب فلا أوخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عدوان وجهل فهذا عين الضلال وهو شبيه بقول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قال الله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) فان تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضى أنهم غير محبوبين ولا منسوبين اليه بنسبة البنوة بل يقتضى انهم مربوبون مخلوقون فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه ومحبوبه لايفعل مايبغضه الحق ويسخطه من الكفر والفسوق والعصيان ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فان الله يبغض منه ذلك كما يحب منه مايفعله من الخير اذ حبه للعبد بحسب ايمانه وتقواه ومن ظن ان الذنوب لاتضره لكون الله يحبه مع أصراره عليها كان بمنزلة من زعم ان تناول السم لايضره مع مداومته عليه وعدم تداويه منه بصحة مزاجه ولو تدبر الاحمق ماقص الله في كتابه من قصص أنبيائه وما جرى لهم من التوبة والاستغفار وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذى فيه تمحيص لهم وتطهير بحسب أحوالهم علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها ولو كان أرفع الناس مقاما فان المحب للمخلوق اذا لم يكن عارفا بمصلحته ولا مريدا لها بل يعمل بمقتضى الحب وان كان جهلا وظلما كان ذلك سببا لبغض المحبوب له ونفوره عنه بل لعقوبته وكثير من السالكين سلكوا

في دعوى حب الله أنواعا من أمور الجهل بالدين إما من تعدى حدود الله واما من تضييع حقوق الله واما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لاحقيقة لها كقول بعضهم أى مريد لى ترك في النار أحدا فانا منه برىء فقال الآخر أى مريد لى ترك أحدا من المؤمنين يدخل النار فانه منه برىء فالاول جعل مريده يخرج كل من في النار والثانى جعل مريده يمنع أهل الكبائر من دخول النار ويقول بعضهم اذا كان يوم القيامة نصبت خيمتى على جهنم حتى لايدخلها أحد وأمثال ذلك من الاقوال التى تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين وهى اما كذب عليهم واما غلط منهم ومثل هذا قد يصدر في حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تميز الانسان أو يضعف حتى لايدرى ماقال والسكر هو لذة مع عدم تميز ولهذا كان بين هؤلاء من اذا صحى استغفر من ذلك الكلام والذين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام كان هذا أصل مقصدهم ولهذا أنزل الله للمحبة محنة يمتحن بها المحب فقال (ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فلا يكون محبا لله الا من يتبع رسوله وطاعة الرسول ومتابعته تحقيق العبودية وكثير ممن يدعى المحبة يخرج عن شريعته وسنته ويدعى من الخيالات مالا يتسع هذا الموضع لذكره حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسنته وطاعته بل قد جعل محبة الله ومحبة رسوله الجهاد في سبيله والجهاد يتضمن كمال محبة ماأمر الله به وكمال بغض مانهى الله عنه ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله) ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم وأكمل هذه الامة في ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل فأين هذا من قوم يدعون المحبة وكلام بعض الشيوخ المحبة نار تحرق في القلب ماسوى مراد المحبوب وأرادوا أن الكون كله قد أراد الله وجوده فظنوا أن كمال المحبة ان يحب العبد كل شىء حتى الكفر والفسوق والعصيان ولا يمكن أحد أن يحب كل موجود بل يحب مايلائمه وينفعه ويبغض ماينافيه ويضره ولكن استفادوا بهذا الضلال اتباع أهوائهم فهم يحبون مايهوونه كالصور والرياسة وفضول المال والبدع المضلة زاعمين أن هذا من محبة الله ومن محبة الله بغض مايبغضه الله ورسوله وجهاد أهله بالنفس والمال وأصل ضلالهم ان هذا القائل الذى قال ان المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب قصد بمراد الله تعالى الارادة الدينية الشرعية

التي هي بمعنى محبته ورضاه فكأنه قال تحرق من القلب ماسوى المحبوب لله وهذا معنى صحيح فان قال من تمام الحب أن لا يحب الا مايحبه الله فاذا أحببت مالا يحب كانت المحبة ناقصة وأما قضاؤه وقدره فهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه فان لم أوافقه في بغضه وكراهته وسخطه لم أكن محبا له بل محبا لما يبغضه فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعي محبة الله ناظرا الى عموم ربوبيته أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته فان دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة لله بل قد يكون دعوى هؤلاء شراً من دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدرك الأسفل من النار كما قد يكون دعوى اليهود والنصارى شراً من دعواهم اذا لم يصلوا الى مثل كفرهم وفي التوراة والانجيل من محبة الله ماهم متفقون عليه حتى ان ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس ففي الانجيل ان المسيح قال أعظم وصايا المسيح أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة وان ماهم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك وهم برآء من محبة الله اذ لم يتبعوا ماأحبه بل اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم وهو سبحانه يحب من يحبه لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له وان كان جزاء الله لعبده أعظم كما في الحديث الصحيح الالهى عن الله تعالى انه قال من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويحب التوابين ويحب المتطهرين بل هو يحب من فعل ماأمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياء في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ماوقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به الى الله بنحو ماتمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصوما فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا كما جعل النصارى لقسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينا ثم أنهم ينتقصون العبودية ويدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح ويثبتون للخاصة من المشاركة

في الله من جنس ماتشبه النصارى والمسيح وأمه الى أنواع أخر يطول شرحها في هذا الموضع وانما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هـذا وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لاتكون لله فهى باطلة وكل عمل لايراد به وجه الله فهو باطل فالدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ماكان لله ولايكون لله الا ماأحبه الله ورسوله وهو المشروع وكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله وكل عمل لايوافق شرع الله لم يكن لله بل لايكون لله الا ماجمع الوصفين أن يكون لله وأن يكون موافقا لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحـدا) فلا بد من العمل الصالح وهو الواجب والمستحب ولا بد أن يكون خالصا لوجه الله قال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هـم يحزنون) وقال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه وهذا الاصل هو أصل الدين وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب واليه دعا الرسول صلى الله عليه وسلم وعليه جاهد وبه أمر وفيه رغب وهو قطب الدين الذى تدور عليه رحاه والشرك غالب على النفوس وهو كما جاء في الحديث وهو في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل وفي حديث آخر قال أبو بكر يارسول الله كيف تنجوا منـه وهو أخفى من دبيب النمل فقال ياأبا بكر الا أعلمك كلمة اذا قلتها نجوت من دقه وجله قل اللهـم انى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لاأعلم وكان عمر يقول في دعائه اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيأ وكثيرا مايخالط النفوس من الشهوات الخفية مايفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له واخلاص دينها له كما قال شداد بن أوس يابقايا العرب إن أخوف ماأخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قيل لأبى داود السجستانى وما الشهوة الخفية فقال حب الرئاسة وعن كعب بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ماذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حرص المرء على

المال والشرف لدينه قال الترمذى حديث حسن صحيح فبين صلى الله عليه وسلم ان الحرص على المال والشرف في فساد الدين لاينقص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم وذلك يبين ان الدين السليم لايكون فيه هذا الحرص وذلك ان القلب اذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شىء أحب اليه من ذلك حتى يقدم عليه وبذلك يصرف عن أهل الاخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) فان المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله مايمنعه من عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته لله مايمنعه عن محبة غيره اذ ليس عند القلب لا أحلا ولا الذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الايمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له واخلاص الدين له وذلك يقتضى انجذاب القلب الى الله فيصير القلب منيبا الى الله خائفا منه راغبا راهبا كما قال تعالى (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) اذ المحب يخاف من زوال مطلوبه أو حصول مرهوبه فلا يكون عبد الله ومحبه الا بين خوف ورجاء قال تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) واذا كان العبد مخلصا لله اجتباه ربه فأحيي قلبه واجتذبه اليه فينصرف عنه مايضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من ضد ذلك بخلاف القلب الذى لم يخلص لله فان فيه طلبا وارادة وحبا مطلقا فيهوى مايسنح له ويتشبث بما يهواه كالغصن أى نسيم مر بعطفه اماله فتارة تجذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرا عبدا لمن لو اتخذه هو عبدا له لكان ذلك نقصا وعيبا وذما وتارة يجذبه الشوق والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ويستعبده من يثنى عليه ولو بالباطل ويعادى من يذمه ولو بالحق وتارة يستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الامور التى تستعبد القلوب والقلوب تهواها فيتخذ الهه هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله ومن لم يكن مخلصا لله عبدا له قد صار قلبه مستعبدا لربه وحده لاشريك له بحيث يكون هو أحب اليه مما سواه ويكون ذليلا خاضعا له والا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين وكان من الغاوين اخوان الشياطين وصار فيه من السوء والفحشاء مالا يعلمه الا الله وهذا أمر ضرورى لاحيلة فيه فالقلب ان لم يكن حنيفا مقبلا على الله معرضا عما سواه والا كان مشركا (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب

بما لديهم فرحون) وقد جعل الله سبحانه ابراهيم وآل ابراهيم أئمة للحنفاء المخلصين أهل محبة الله وعبادته واخلاص الدين له كما جعل فرعون وآل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم قال تعالى في ابراهيم (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) وقال في فرعون وقومه (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) ولهذا يصير اتباع فرعون أولا الى أنهم لايميزون بين مايحبه الله ويرضاه وبين ماقدره وقضاه بل ينظرون الى المشيئة المطلقة الشاملة ثم في آخر الأمر لايميزون بين الخالق والمخلوق بل يجعلون وجود هذا وجود هذا ويقول محققوهم الشريعة فيها طاعة ومعصية والحقيقة فيها معصية بلا طاعة والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية وهذا تحقيق مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق وأنكروا تكليمه لعبده موسى وما أرسله به من الأمر والنهى وأما ابراهيم وآل ابراهيم الحنفاء الانبياء فهم يعلمون أنه لابد من الفرق بين الخالق والمخلوق وبين الطاعة والمعصية وان العبد كلما ازداد تحقيقا ازدادت محبته لله وعبوديته له وطاعته له واعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره وطاعة غيره وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين الله وخلقه والخليل يقول (أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين) ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشايخ كما فعلت النصارى مثال ذلك اسم الفناء فان الفناء ثلاثة أنواع نوع للكاملين من الانبياء والاولياء ونوع للقاصرين من الاولياء والصالحين ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين فأما الاول فهو الفناء عما سوى الله بحيث لايحب الا الله ولا يعبد الا الله ولا يتوكل الا عليه ولا يطلب غيره وهو المعنى الذى يجب أن يقصد بقول الشيخ أبى يزيد أريد أن لاأريد الا مايريد أى المراد المحبوب المرضى وهو المراد بالارادة الدينية وكمال العبد أن لايريد ولا يحب ولا يرضى الا ماأراده الله ورضيه وأحبه وهو ماأمر به أمر ايجاب أو استحباب ولا يحب الا مايحبه الله كالملائكة والانبياء والصالحين وهذا معنى قولهم في قوله (الا من أتى الله بقلب سليم) قالوا هو السليم مما سوى الله أومما سوى عبادة الله أو مما سوى ارادة الله أومما سوى محبة الله فالمعنى واحد وهذا المعنى ان سمى فناء أو لم يسم هو أول الاسلام وآخره وباطن الدين وظاهره وأما المعنى الثانى فهو الغنى عن شهود السوى ولهذا يحصل لكثير من السالكين فانهم لفرط انجذاب

قلوبهم الى ذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ماتعبد وترى غير ماتقصد لايخطر بقلوبهم غير الله بل ولا يشعرون به كما قيل في قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها) قالوا فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى وهذا كثير يعرض لمن دهمه أمر من الامور اما حب واما خوف واما رجاء يبقى قلبه منصرفا عن كل شئ الا عما قد أحبه أوخافه أو طلبه بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لايشعر بغيره فاذا قوى على صاحب الفناء هذا فانه يغيب بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته حتى يفنى من لم يكن وهى المخلوقات المعبدة فمن سواه ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى والمراد فناؤها في شهود العبد وذكره وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها واذا قوى هذا وضعف المحب حتى اضطرب في تمييزه فقد يظن أنه هو محبوبه كما يذكر أن رجلا ألقى نفسه في اليم فألقى محبه نفسه خلفه فقال أنا وقعت فما أوقعك خلفى فقال غبت بك عنى حتى ظننت انك أنى وهذا الموضع زل فيه أقوام وظنوا أنه اتحاد وأن المحب يتحد بالمحبوب حتى لايكون بينهما فرق في نفس وجودهما وهذا غلط فان الخالق لايتحد به شئ أصلا بل لايتحد شئ بشئ الا اذا استحالا أو فسد أوحصل من اتحادهما أمر ثالث لاهو هذا ولا هذا كما اذا اتحد الماء واللبن والماء والخمر ونحو ذلك ولكن يتحد المراد والمحبوب والمكروه ويتفقان في نوع الارادة والكراهة فيحب هذا مايحب هذا ويبغض هذا مايبغض هذا ويرضى مايرضى ويسخط مايسخط ويكره مايكره ويوالى من يوالى ويعادى من يعادى وهذا الفناء كله فيه نقص وأكابر الاولياء كابى بكر وعمر رضى الله عنهما والسابقين الاولين من المهاجرين والانصار لم يقعوا في هذا الفناء فضلا عمن فوقهم من الانبياء وانما وقع شئ من هذا من بعد الصحابة وكذلك ماكان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل والتميز لما يرد على القلب من أحوال الايمان فان الصحابة رضى الله عنهم كانوا أكمل وأقوى وأثبت في الاحوال الايمانية من أن تغيب عقولهم أو يحصل لهم غشاء أو ضعف أو سكر أو فناء أو وله أو جنون وانما كان مبادى هذه الامور في التابعين من عباد البصرة فانه كان فيهم من يغشى عليه اذا سمع القرآن ومنهم من يموت كأبى جهير الضرير وزرارة بن أبى أو في قاضى البصرة وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر مايضعف معه تمييزه حتى يقول في تلك الحال من الاقوال ماذا صحى عرف أنه غالط فيه كما يحكى ذلك عن أبى يزيد

وأبى الحسن النورى وأبى بكر الشبلى وأمثالهم بخلاف أبى سليمان الدارانى ومعروف الكرخى وفضيل بن عياض بل وبخلاف الجنيد وأمثاله ممن كانت عقولهم وتميزهم تصحبهم في أحوالهم فلا يقعون في الفناء والسكر ونحوه بل الكمل تكون عقولهم ليس فيها سوى محبة الله وارادته وعبادته وعندهم من سعة العلم والتميز مايشهدون به الامور على ماهى عليه بل يشهدون المخلوقات قائمة بأمر الله مدبرة بمشيئته بل مسبحة له قانتة له فيكون لهم فيها تبصرة وذكرى ويكون مايشهدونه من ذلك مؤيدا وممدا لما في قلوبهم من اخلاص الدين وتجريد التوحيد والعبادة له وحده لاشريك له وهذه الحقيقة التى دعا اليها القرآن وقام بها أهل تحقيق الايمان والكمل من أهل العرفان ونبينا صلى الله عليه وسلم امام هؤلاء وأكملهم ولهذا لما عرج به الى السموات وعاين ماهناك من الآيات وأوحى اليه ماأوحى من أنواع المناجاة وأصبح فيهم وهو لم يتغير حاله ولا ظهر عليه ذلك بخلاف ماكان يظهر على موسى عليه السلام من التغشى صلى الله عليهم أجمعين وأما النوع الثالث مما قد يسمى فناء فهو أن يشهد أن لاموجود الا الله وأن وجود الخالق هو وجود المخلوقات فلا فرق بين الرب والعبد فهذا فناء أهل الضلال والالحاد الواقعين في الحلول والاتحاد والمشايخ المستقيمون اذا قال أحدهم ماأرى غير الله أو لاأنظر الى غير الله أو نحو ذلك فمرادهم بذلك ماأرى ربا غيره ولا خالقا غيره ولا مدبرا غيره ولا إله غيره ولا أنظر الى غيره محبة له أو خوفا منه أو رجاء له فان العين تنظر الى مايتعلق به القلب فمن أحب شيأ أو رجاه أو خافه التفت اليه فاذا لم يكن في قلبه محبة له ولا رجاء له ولا خوف منه ولا بغض له ولا غير ذلك من تعلق القلب له لم يقصد القلب أن يلتفت اليه ولا أن ينظر اليه ولا أن يراه ان رآه اتفاقا رؤية مجردة كان كمن رأى حائطا ونحوه مما ليس في قلبه تعلق به والمشايخ الصالحون رضى الله عنهم يذكرون شيأ من تجريد التوحيد وتحقيق اخلاص الدين كله بحيث لايكون العبد ملتفتا الى غير الله ولا ناظرا الى ماسواه لاحبا له ولا خوفا منه ولا رجاء له بل يكون القلب فارغا من المخلوقات خاليا منها لاينظر اليها الا بنور الله فبالحق يسمع وبالحق يبصر وبالحق يبطش وبالحق يمشى فيحب منها مايحبه الله ويبغض منها مايبغضه الله ويوالى منها ماوالاه الله ويعادى منها ماعاداه الله ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله فهذا هو القلب السليم الحنيفى الموحد المسلم المؤمن العارف الموحد بمعرفة الانبياء والمرسلين وتحقيقهم وتوحيدهم وانما النوع الثالث وهو الفناء في الوجود فهو تحقيق آل فرعون وتوحيدهم ومعرفتهم كالقرامطة وأمثالهم وهذا النوع الذى عليه اتباع الانبياء هو الفناء

المحمود الذى يكون صاحبه ممن أثنى الله عليهم من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول أن الذى أراه يعينى من المخلوقات هو رب الارض والسموات فان هذا لايقوله الا من هو في غاية الضلالات والفسادات اما فساد العقل واما فساد الاعتقاد فهو متردد بين الجنون والالحاد وكل المشايخ الذين يقتدى بهم في الدين متفقون على مااتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات وليس في مخلوقاته شئ من ذاته ولا في ذاته شئ من مخلوقاته وأنه يجب أفراد القديم عن الحادث وتمييز الخالق عن المخلوق وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا وقد تكلموا على مايعرض للقلوب من الامراض والشبهات وأن بعض الناس قد يشهدوا وجود المخلوقات فيظنه خالق الارض والسموات لعدم التمييز والفرقان في قلبه بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس الذى في السماء وهم قد تكلموا في الفرق والجمع ويدخل في ذلك من العبادات المتلفة نظير مادخل في الفناء فان العبد اذا شهد التفرقة والكثرة في المخلوقات يبقى قلبه متفرقا بها متشتتا نظراً اليها وتعلقا بها اما لمحبة واما خوفا واما رجاء فاذا انتقل الى الجمع اجتمع قلبه على توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له فالتفت قلبه الى الله بعد التفاته الى المخلوقين فصارت محبته لربه وخوفه من ربه ورجاؤه لربه واستعانته بربه وفي هذه الحال قد لايسع قلبه النظر الى المخلوق ليفرق بين الخالق والمخلوق وقد يكون مجتمعا على الحق معرضا عن الخلق نظرا وقصدا وهو نظير النوع الثانى من الفناء ولكن بعد ذلك الفرق الثانى وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمة بالله مدبرة بأمره ويشهد كثرتها معدومة بوحدانية الله سبحانه وتعالى وأنه سبحانه رب المصنوعات والهها وخالقها ومالكها فيكون مع اجتماع قلبه على الله اخلاصا ومحبة وخوفا ورجاء واستعانة وتوكلا على الله وموالاة فيه ومعاداة فيه وأمثال ذلك ناظراً الى الفرق بين الخالق والمخلوق مميزا بين هذا وهذا يشهد تفرق المخلوقات وكثرتها مع شهادته ان الله رب كل شئ ومليكه وخالقه وأنه هو الله لااله الا هو وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته في حال القلب وعبادته وقصده وارادته ومحبته وموالاته وطاعته وذلك تحقيق شهادة أن لااله الا الله فانه ينفى عن قلبه الهية ماسوى الحق ويثبت في قلبه الهية الحق فيكون نفياً الهة كل شئ من المخلوقات مثبتا لالهية رب العالمين رب الارض والسموات وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة

ماسواه فيكون مفرقا في علمه وقصده في شهادته وارادته في معرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق بحيث يكون عالما بالله ذاكرا له عارفا به وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقه وانفراده عنهم وتوحده دونهم ويكون محبا لله معظما له عابدا له راجيا له الاستعانة به والخوف منه والرجاء له والموالاة فيه والمعادات فيه وخائفا منه مواليا فيه معاديا فيه مستعينا به متوكلا عليه ممتنعا عن عبادة غيره والتوكل عليه والطاعة لأمره وأمثال ذلك مماهو من خصائص الهية الله سبحانه وتعالى واقراره بالهية الله دون ماسواه متضمن لافراده بربوبيته وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره فحينئذ يكون موحدا لله وبين ذلك أن أفضل الذكر لااله الا الله كما رواه الترمذى وابن أبى الدنيا وغيرهما مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الذكر لااله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وفي الموطا وغيره عن طلحة بن عبيد الله بن كثير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون من أبين غلط هؤلاء فان الاسم هو مذكور في الأمر بجواب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال من جاء فتقول زيد واما الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به ايمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطى القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالا نافعا وانما يعطيه قصورا مطلقا لايحكم عليه بنفى ولا اثبات فان لم يقترن به من معرفة القلب وحاله مايفيد بنفسه والا لم يكن فيه فائدة والشريعة انما تشرع من الاذكار مايفيد بنفسه لامايكون الفائدة حاصلة بغيره وقد وقع من واظب على هذا الذكر في فنون من الالحاد وأنواع من الاتحاد كما قد بسط في غير هذ الموضع وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال أخاف أن أموت بين النفى والاثبات حال لايقتدى فيها بصاحبها فان في ذلك من الغلط مالاخفاء فيه اذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت الا على ماقصده ونواه اذ الاعمال بالنيات وقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت لااله الا الله وقال من كان آخر كلامه لااله الا الله دخل الجنة ولو كان ماذكره محذورا لم يلقن

الميت كلمة يخاف أن يموت في أثنائها موتا غير محمود بل كان يلقن مااختاره من ذكر الاسم المفرد والذكر بالاسم المفرد المضمر أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب الى اضلال الشيطان فان من قال ياهو ياهو أوهو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً الاالى مايصوره قلبه والقلب قد يهتدى وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتابا سماه كتاب الهو وزعم بعضهم ان قوله (وما يعلم تأويله الا الله) معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذى هو الهو وقيل هذا وان كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء حتى قلت مرة لبعض من قال بشئ من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت وما يعلم تأويل هومنفصلة ثم كثيراً مايذكره بعض الشيوخ أنه يحتج على قول القائل الله بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فان قوله قل الله معناه الله الذى أنزل الكتاب الذى جاء به موسى وهذا جواب لقوله (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله) أى الله أنزل الكتاب الذى جاء به موسى رد بذلك قول من قال ماأنزل الله على بشر من شئ فقال من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى ثم قال قل الله أنزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون ومما يبين ماتقدم ماذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ماكان كلاما لايحكون به ماكان قولا فالقول لايحكى به الا كلام تام أو جملة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون ان اذا جاءت بعد القول فالقول لايحكى به اسم والله تعالى لم يأمر أحداً بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفرداً مجرداً والاسم المفرد المجرد لايفيد الايمان باتفاق أهل الاسلام ولا يؤمر به في شئ من العبادات ولا في شئ من المخاطبات ونظير من اقتصر على الاسم المفرد مايذكر أن بعض الاعراب مر بمؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله بالنصب فقال ماذا يقول هذا هو الاسم فأين الخبر عنه الذى به يتم الكلام وما في القرآن من قوله (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا) وقوله (سبح اسم ربك الأعلى) وقوله (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقوله (فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لايقتضى ذكره مفردا بل في السنن انه لما نزل قوله (فسبح باسم ربك العظيم) قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الاعلى) قال اجعلوها في سجودكم فشرع لهم أن يقولوا في

الركوع سبحان ربى العظيم وفي السجود سبحان ربى الأعلى وفي الصحيح أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربى العظيم وفي سجوده سبحان ربى الأعلى وهذا معنى قوله اجعلوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين فسبح اسم ربه الاعلى ذكر اسم ربه ونحو ذلك هو بالكلام التام المفيد كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله أكبر وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال في يومه مائة مرة لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كتب الله له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الارجل قال مثل ماقال أو زاد عليه ومن قال في يومه مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وفي الموطأ وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وفي سنن ابن ماجه وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الذكر لااله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع مايقال من الذكر والدعاء وكذلك في القرآن كقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وقوله (فكلوا مما أمسكنا عليكم واذكروا اسم الله عليه) انما هو قوله بسم الله وهذا جملة تامة اما اسمية على أظهر قولى النحاة أو فعلية والتقدير ذبحى بسم الله أو أذبح بسم الله وكذلك قول القارئ بسم الله الرحمن الرحيم فتقديره قراءتى بسم الله أو اقرأ بسم الله ومن الناس من يضمر في مثل هذا ابتدائى بسم الله أو ابتدأت بسم الله والاول أحسن لان الفعل كله مفعول باسم الله ليس مجرد ابتدائه كما أظهر المضمر في قوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وفي قوله (بسم الله مجراها ومرساها) وفي قول النبى صلى الله عليه وسلم من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله ومن هذا الباب قول النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لربيبه عمر بن أبى سلمة سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك فالمراد أن يقول باسم الله ليس المراد ذكر الاسم مجردا وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدى بن حاتم اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا

دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه وعند طعامه قال الشيطان لاميت ولا عشاء وأمثال هذا وكذلك ماشرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجهم وأعيادهم من ذكر الله تعالى انما هو بالجملة التامة كقول المؤذن الله أكبر الله أكبر أشهد أن لااله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله وقول المصلى الله أكبر سبحان ربى العظيم سبحان ربى الأعلى سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد التحيات لله وقول الملبي لبيك اللهم لبيك وأمثال ذلك فجميع ماشرعه الله من الذكر انما هو كلام تام لااسم مفرد لامظهر ولا مضمر وهذا هو الذى يسمى في اللغة كلمة كقوله كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن وقوله أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد

* ألا كل شيء ماخلا الله باطل *

ومنه قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) الآية وقوله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ الكلمة من الكتاب والسنة بل وسائر كلام العرب فانما يراد الجملة التامة كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم فيقولون هذا حرف غريب أى لفظ الاسم غريب وقسم سيبويه الكلام الى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم وفعل وكل من هذه الاقسام يسمى حرفا لكن خاصة الثالث أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وسمى حروف الهجاء باسم الحرف وهى أسماء ولفظ الحرف يتناول هذه الاسماء وغيرها كما قال النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات اما أنى لاأقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف وقد سئل الخليل أصحابه عن النطق بحرف الزاى من زيد فقالوا زاء فقال جئتم بالاسم وانما الحرف ز ا ثم النحاة اصطلحوا على أن هذا المسمى في اللغة بالحرف يسمى كلمة وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل كحروف الجر ونحوها وأما ألفاظ حروف الهجاء فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ وتارة باسم ذلك الحرف ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتاده أنه هكذا في لغة العرب ومنهم من يجعل لفظ الكلمة في اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا وبين الجملة ولا يعرف في صريح اللغة من لفظ الكلمة الا الجملة التامة والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة هو الذى ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر والقرب الى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية

والمقاصد السامية وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا فلا أصل له فضلا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة الى أنواع من البدع والضلالات وذريعة الى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الالحاد وأهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع وجماع الدين أصلان أن لايعبد الا الله وأن لايعبد الا بما شرع لايعبد بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا) وذلك تحقيق الشهادتين شهادة أن لااله الاالله وشهادة أن محمدا رسول الله ففى الاول من أن لانعبد الا اياه وفي الثانية أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره وقد بين لنا مانعبد الله به ونهانا عن محدثات الامور وأخبر أنها ضلالة قال الله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون) كما انا مأمورون أن لانخاف الا الله ولا نتوكل الاعليه ولا نرغب الافي الله ولا نستعين الا بالله وأن لاتكون عبادتنا الا لله فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونتأسى به فالحلال ماحلله والحرام ماحرمه والدين ماشرعه قال الله تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فجعل الايتاء لله والرسول كما قال الله تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) وجعل التوكل على الله وحده بقوله (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله كما قال (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ومثله قوله (ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أى حسبك وحسب المؤمنين كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) ثم قال (وقالوا سيؤتينا الله من فضله ورسوله) فجعل الايتاء لله والرسول وقدم ذكر الفضل لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين وقال (انا الى الله راغبون) فجعل الرغبة الى الله وحده كما في قوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله والقرآن يدل على مثل هذا وقد ذكر في غير هذا الموضع فجعل العبادة والخشية والتقوى لله وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله كما قال نوح (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وقوله (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) وأمثال ذلك فالرسل أمروا بعبادته وحده والرغبة اليه والتوكل عليه والطاعة لهم فأضل الشيطان النصارى

وأشباههم فأشركوا بالله وعصوا الرسل فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم فجعلوا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ويسألونهم عن معصيتهم لأمرهم ومخالفتهم لسنتهم وهدى الله المؤمنين المخلصين لله أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق واتبعوه فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين فاخلصوا دينهم لله وأسلموا وجوههم لله وأنابوا الى ربهم وأحبوه ورجوه وخافوه وسألوه ورغبوا اليه وفوضوا أمورهم اليه وتوكلوا عليه وأطاعوا رسله وعزروهم ووقروهم وأحبوهم ووالوهم واتبعوهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بمنارهم وذلك هو دين الاسلام الذى بعث الله به الاولين والآخرين من الرسل وهو الدين الذى لايقبل الله من أحد دينا الا اياه وهو حقيقة العبادة لرب العالمين فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه ويكمله لنا ويميتنا عليه وسائر اخواننا المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم

تم ولله الحمد طبع رسالة العبودية لشيخ
الاسلام ابن تيمية ويليها رسالة
الواسطة للامام المذكور

﴿ الواسطة بين الخلق والحق ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسئلة) في رجلين تناظرا فقال أحدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لانقدر أن نصل اليه بغير ذلك

(الجواب) الحمد لله رب العالمين • ان أراد بذلك انه لابد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فان الخلق لايعلمون مايحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه وما أعده لاوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ولا يعرفون مايستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التى تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده • فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة • وأما المخالفون للرسل فانهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محجوبون • قال تعالى (يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) • وقال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامه أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) • قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لايضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقال تعالى عن أهل النار (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ إن أنتم الا في ضلال كبير) وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) • وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلا قد قصصناهم

عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ومثل هذا في القرآن كثير . وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره . قال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) . ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر باجماع أهل الملل والسور التى أنزلها الله بمكة مثل الانعام والاعراف وذوات (الر) و (حم) و (طس) ونحو ذلك هى متضمنة لاصول الدين كالايمان بالله ورسله واليوم الآخر وقد قص الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا قال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) . وقال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) فهذه الوسائط تطاع وتتبع ويقتدى بها كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) . وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) . وقال (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) . وقال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) . وان أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجون اليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حتى قال الله (الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له) . وقالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين الله لهم أن الملائكة

والانبياء لايملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا وانهم يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه • وقال تعالى (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقولوا للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) • فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر فمن جعل الملائكة والانبياءوسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين • وقد قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) • وقال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً) • وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيأ إدًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدًّا أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدّهم عدًّا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) • وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لايعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) • وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) • وقال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) • وقال تعالى(مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) • وقال تعالى (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) ومثل هذا كثير في القرآن

*ومن سوى الانبياء من مشايخ العلم والدين فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهمو يؤدبونهم ويقتدون بهم فقد أصاب في ذلك • وهؤلاء اذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لايجتمعون على ضلالة وان تنازعوا في شئ ردوه الى الله والرسول

إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق بل كل أحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقد قال) النبي صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء • فان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر • وان أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذى بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه فالله انما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم • فالخلق يسئلونهم وهم يسئلون الله كما ان الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لان طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب الى الملك من الطالب للحوائج فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب والا قتل وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أندادا • وفي القرآن من الرد على هؤلاء مالم تتسع له هذه الفتوى فان الوسائط التى بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة • إما لاخبارهم من أحوال الناس بما لايعرفونه • ومن قال ان الله لايعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الانبياء أو غيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لاتخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير • يسمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات • لايشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين الوجه الثانى أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه الا باعوان يعينونه فلا بد له من أنصار واعوان لذله وعجزه والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولى من الذل قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) وقال تعالى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا) • وكل مافي الوجود من الاسباب فهو خالقه وربه ومليكه فهو الغنى عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك والله تعالى ليس له شريك في الملك بل لاإله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير • والوجه الثالث أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم الا بمحرك يحركه من خارج فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت

ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه . والله تعالى هو رب كل شئ ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها . وكل الاشياء انما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو اذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذى خلق ذلك كله . وهو الذى خلق في قلب هذا المحسن الداعى الشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه مالم يكن يعلم أومن يرجوه الرب ويخافه . ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لايقولن أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ولكن ليجزم المسئلة فانه لامكره له والشفعاء الذين يشفعون عنده لايشفعون الا باذنه كما قال (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقد قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فبين أن كل من دعى من دونه ليس له ملك ولا شرك في الملك ولا هو ظهير وأن شفاعتهم لاتنفع الا لمن أذن له وهذا بخلاف الملوك فان الشافع عندهم قد يكون له ملك وقد يكون شريكا لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم والملك يقبل شفاعتهم تارة بحاجته اليهم وتارة لخوف منهم وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافأتهم ولانعامهم عليه حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ويقبل شفاعة مملوكه فاذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لايطيعه أو ان يسعى في ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبة أو رهبة . والله تعالى لايرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد بل هو الغنى قال تعالى (ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم إلا يخرصون) الى قوله (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له مافي السموات وما في الارض) والمشركون يتخذون شفعاء من جنس مايعهدونه من الشفاعة . قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لايعلم في السموات ولا في

الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وماكانوا يفترون) وأخبر عن المشركين انهم قالوا (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً) فاخبران مايدعى من دونه لايملك كشف ضر ولا تحويله وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون اليه فهو سبحانه قد نفى مابين الملائكة والانبياء الا من الشفاعة باذنه والشفاعة هى الدعاء ولا ريب ان دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك لكن الداعى الشافع ليس له أن يدعو ويشفع الا باذن الله له في ذلك فلا يشفع شفاعة نهى عنها كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة قال تعالى (ماكان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعدماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) وقال تعالى في حق المنافقين (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) وقد ثبت في الصحيح ان الله نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر انه لايغفر لهم كما في قوله (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وقد قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لايحب المعتدين) في الدعاء ومن الاعتداء في الدعاء ان يسأل العبد مالم يكن الرب ليفعله مثل أن يسأله منازل الانبياء وليس منهم أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك أو يسأله مافيه معصية لله كاعانته على الكفر والفسوق والعصيان فالشفيع الذى أذن الله له في الشفاعة شفاعته في الدعاء الذى ليس فيه عدوان ولو سأل أحدهم دعاء لايصلح له لايقر عليه فانهم معصومون ان يقروا على ذلك . كما قال نوح (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) قال تعالى (يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) وكل داع شافع دعا الله سبحانه وتعالى وشفع فلا يكون دعاؤه وشفاعته الا بقضاء الله وقدره

ومشيئته وهو الذى يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو الذى خلق السبب والمسبب والدعاء من جملة الاسباب التى قدرها الله سبحانه وتعالى واذا كان كذلك فالالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد • ومحو الاسباب ان تكون أسبابا نقص في العقل • والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته الى الله سبحانه وتعالى والله يقدر له من الاسباب من دعاء الخلق وغيرهم ماشاء والدعاء مشروع ان يدعو الاعلى الادنى والادنى الاعلى فطلب الشفاعة والدعاء من الانبياء كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء ويطلبون منه الدعاء بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الانبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء وله شفاعات يختص بها ومع هذا فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها درجة في الجنة لاتنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى يوم القيامة وقد قال لعمر لما أراد أن يعتمر وودعه ياأخى لاتنسنى من دعائك فالنبي صلى الله عليه وسلم قد طلب من أمته أن يدعوا له ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم بل أمره بذلك لهم كامره لهم بسائر الطاعات التى يثابون عليها مع انه صلى الله عليه وسلم له مثل أجورهم في كل مايعملونه فانه قد صح عنه أنه قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ • ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيأ • وهو داعى الامة الى كل هدى فله مثل أجورهم في كل مااتبعوه فيه وكذلك اذا صلوا عليه فان الله يصلى على أحدهم عشراً وله مثل أجورهم مع مايستجيبه من دعائهم له فذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه وصار ماحصل له به من النفع نعمة من الله عليه وقد ثبت عنه في الصحيح انه قال مامن رجل يدعو لاخيه بظهر الغيب بدعوة الا وكل الله به ملكا كلما دعا لاخيه بدعوة قال الملك الموكل به آمين ولك مثل ذلك وفي حديث آخر أسرع الدعاء دعوة غائب لغائب فالدعاء للغير ينتفع به الداعى والمدعو له وان كان الداعى دون المدعو له فدعاء المؤمن لاخيه ينتفع به الداعى والمدعو له فمن قال لغيره ادع لى وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى فهو نبه المسؤل وأشار عليه بما ينفعهما

والمسؤل فعل ماينفعهما بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى فيثاب المأمور على فعله والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه لكونه دعا اليه لاسيما ومن الادعية مايؤمر بها العبد كما قال تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فأمره بالاستغفار ثم قال (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم اذ ذاك مما أمر الله به الرسول حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيأ لم يأمر الله المخلوق به بل ماامر الله العبد امر ايجاب او استحباب ففعله هو عبادة لله وطاعة وقربة الى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه واذا فعل ذلك كان اعظم احسان الله اليه وانعامه عليه بل اجل نعمة انعم الله بها على عباده أن هداهم للايمان والايمان قول وعمل جائز بالطاعة والحسنات وكلما ازداد العبد عملا للخير ازداد ايمانه هذا هو الانعام الحقيقي المذكور في قوله (صراط الذين انعمت عليهم) وفي قوله (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم) بل نعم الدنيا بدون الدين هل هى من نعمه ام لا فيه قولان مشهوران للعلماء من اصحابنا وغيرهم والتحقيق انها نعمة من وجه وان لم تكن نعمة تامة من وجه واما الانعام بالدين الذى ينبغى طلبه فهو ماامر الله به من واجب ومستحب فهو الخير الذى ينبغى طلبه باتفاق المسلمين وهو النعمة الحقيقية عند اهل السنة اذ عندهم ان الله هو الذى انعم بفعل الخير والقدرية عندهم انما انعم بالقدرة عليه الصالحة للضدين فقط والمقصود هنا ان الله لم يأمر مخلوقا ان يسأل مخلوقا الا ما كان مصلحة لذلك المخلوق إما واجب او مستحب فانه سبحانه لايطلب من العبد الا ذلك فكيف يأمر غيره ان يطلب منه غير ذلك بل قد حرم على العبد ان يسأل العبد ماله الا عند الضرورة وان كان قصده مصلحة المأمور او مصلحته ومصلحة المأمور فهذا يثاب على ذلك وان كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأمور فهذا من نفسه اتى ومثل هذا السؤال لايأمر الله به قط بل قد نهى عنه اذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته والله يأمرنا ان نعبده ونرغب اليه ويأمرنا ان نحسن الى عباده وهذا لم يقصد لاهذا ولا هذا فلم يقصد الرغبة الى الله ودعاءه وهو الصلاة ولا قصد الاحسان الى الخلق الذى هو الزكاة وان كان العبد قد لايأثم بمثل هذا السؤال لكن فرق مابين مايؤمر به العبد وما يؤذن له فيه الا ترى انه قال في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب انهم لايسترقون ، وان كان الاسترقاء جائزا وهذا قد بسطناه في غير

هذا الموضع والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التى تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين المشركين عباد الاوثان كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسائل يتقربون بها الى الله وهو من الشرك الذى أنكره الله على النصارى حيث قال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لااله الا هو سبحانه عما يشركون) وقال تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) أى فليستجيبوا لى اذا دعوتهم بالأمر والنهى وليؤمنوا بى أن أجيب دعاءهم لى بالمسئلة والتضرع وقال تعالى (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) وقال تعالى (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض) وقال تعالى (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان) وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الاشراك به حتى لايخاف أحد غير الله ولايرجا سواه ولا يتوكل الا عليه وقال تعالى (فلا تخشوا الناس واخشون • ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا • انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم أولياءه (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وقال تعالى (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) فبين أن الطاعة لله ورسوله وأما الخشية فلله وحده • وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) ونظيره قوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لامته ويحسم عنهم مواد الشرك اذ هذا تحقيق قولنا لااله الا الله فان الاله هو الذى تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم والاجلال والاكرام والرجاء والخوف حتى قال لهم لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد وقال له رجل ماشاء الله وشئت فقال اجعلتنى لله ندا قل ماشاء وحده وقال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقال لابن عباس

اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما أنت لاق فلو جهدت الخليقة على أن تنفعك لم تنفعك الا بشئ كتبه الله لك ولو جهدت أن تضرك لم تضرك الا بشئ كتبه الله عليك وقال أيضا لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد وقال لاتتخذوا قبرى عيدا وصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم وقال في مرضه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ماصنعوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا وهذا باب واسع ومع علم المؤمن ان الله رب كل شئ ومليكه فانه لاينكر ماخلقه الله من الاسباب كما جعل المطر سببا لانبات النبات قال الله تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) وكما جعل الشمس والقمر سببا لما يخلقه بهما وكما جعل الشفاعة والدعاء سببا لما يقضيه بذلك مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت فان ذلك من الاسباب التى يرحمه الله بها ويثيب عليها المصلين عليه لكن ينبغى أن يعرف في الاسباب ثلاثة أمور • أحدها ان السبب المعين لايستقل بالمطلوب بل لابد معه من أسباب أخر ومع هذا فلها موانع فان لم يكمل الله الاسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود وهو سبحانه ماشاء كان وان لم يشأ الناس وما شاء الناس لايكون الا أن يشاء الله • الثانى أن لايجوز أن يعتقد أن الشئ سبب الا بعلم فمن أثبت شيأ سببا بلا علم أو يخالف الشرع كان مبطلا مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن النذر وقال انه لايأتى بخير وانما يستخرج به من البخيل • الثالث أن الاعمال الدينية لايجوز أن يتخذ منها شئ سببا الا أن تكون مشروعة فان العبادات مبناها على التوقيف فلا يجوز للانسان أن يشرك بالله فيدعو غيره وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض اغراضه ولذلك لايعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة وان ظن ذلك فان الشياطين قد تعين الانسان على بعض مقاصده اذا أشرك وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الانسان فلا يحل له ذلك اذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به اذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بتحصيل المصالح وتكميلها • وتعطيل المفاسد وتقليلها • فما أمر الله به فمصلحته راجحة وما نهى عنه فمفسدته راجحة • وهذه الجمل لها بسط لاتحتمله هذه الورقة والله أعلم

﴿ تمت رسالة الواسطه ويليها رسالة رفع الملام عن الائمة الأعلام ﴾

﴿رفع الملام عن الائمة الاعلام﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام القدوة العالم العامل . الحبر الكامل . العلامة الاوحد الحافظ الزاهد العابد الورع الربانى المقذوف في قلبه النور الالهى والعلوم الرفيعة . والفنون البديعة الآخذ بازمة الشريعة . الناكص عن الآراء المزلة . والاهواء المضلة . المقتفى لآثار السلف علما وعملا . مقتدى الفرق . مجتهد العصر . أوحد الدهر . تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية أدام الله بركته ورفع في الدنيا والآخرة محله ودرجته

الحمد لله على آلائه . وأشهد أن لاإله الا الله وحده لاشريك له في أرضه وسمائه . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة الى يوم لقائه . وسلم تسليما

﴿ وبعد ﴾ فيجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الانبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم اذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فعلماؤها شرارها الا المسلمين فان علماءهم خيارهم فانهم خلفاء الرسول في أمته . والمحيون لما مات من سنته . بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا . وليعلم انه ليس أحد من الائمة المقبولين عند الامة قبولا عاماً يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شئ من سنته دقيق ولا جليل فانهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول وعلى ان كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه . وجميع الاعذار ثلاثة أصناف . أحدها عدم اعتقاده ان النبى صلى الله عليه وسلم قاله . والثانى عدم اعتقاده ارادة تلك المسئلة بذلك القول . والثالث اعتقاده ان ذلك الحكم منسوخ

وهذه الاصناف الثلاثة تتفرع الى أسباب متعددة . السبب الاول أن لايكون الحديث قد بلغه ومن لم يبلغه الحديث لم يكلف أن يكون عالماً بموجبه واذا لم يكن قد بلغه وقد قال في تلك القضية بموجب ظاهر آية أو حديث آخر أو بموجب قياس أو

موجب استصحاب فقد يوافق ذلك الحديث ويخالفه أخرى . وهذا السبب هو الغالب على أكثر مايوجد من أقوال السلف مخالفا لبعض الاحاديث فان الاحاطة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لاحد من الامة وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحدث أو يفتى أو يقضى أو يفعل الشىء فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً ويبلغه أولئك أو بعضهم لمن يبلغونه فينتهى علم ذلك الى من شاء الله من العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ثم في مجلس آخر قد يحدث أو يفتى أو يقضى أو يفعل شيأ ويشهده بعض من كان غائبا عن ذلك المجلس ويبلغونه لمن أمكنهم فيكون عند هؤلاء من العلم ماليس عند هؤلاء وعند هؤلاء ماليس عند هؤلاء وانما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم بكثرة العلم أو جودته

وأما احاطة واحد بجميع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا لايمكن ادعاؤه قط واعتبر ذلك بالخلفاء الراشدين الذين هم أعلم الامة بأمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأحواله خصوصا الصديق رضى الله عنه الذى لم يكن يفارقه حضرا ولا سفراً بل كان يكون معه في غالب الاوقات حتى انه يسمر عنده بالليل في أمور المسلمين وكذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم كثيراً مايقول دخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ثم مع ذلك لما سئل أبو بكر رضى الله عنه عن ميراث الجدة قال مالك في كتاب الله من شىء وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من شىء ولكن أسأل الناس فسألهم فقام المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة فشهدا ان النبى صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس وقد بلغ هذه السنة عمران بن حصين أيضاً وليس هؤلاء الثلاثة مثل أبى بكر وغيره من الخلفاء ثم قد اختصوا بعلم هذه السنة التى قد اتفقت الامة على العمل بها . وكذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكن يعلم سنة الاستئذان حتى أخبره بها أبو موسى واستشهد بالانصار وعمر أعلم ممن حدثه بهذه السنة ولم يكن عمر أيضا يعلم ان المرأة ترث من دية زوجها بل يرى ان الدية للعاقلة حتى كتب اليه الضحاك بن سفيان وهو أمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض البوادى يخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث امرأة أشيم الضبابى من دية زوجها فترك رأيه لذلك وقال لو لم نسمع بهذا لقضينا بخلافه ولم يكن يعلم حكم المجوس في الجزية حتى اخبره عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب

ولما قدم سرغ وبلغه ان الطاعون بالشام استشار المهاجرين الاولين الذين معه ثم الانصار ثم مسلمة الفتح فاشار كل عليه بما رأى ولم يخبره أحد بسنة حتى قدم عبد الرحمن بن عوف فاخبره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون وانه قال اذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه واذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه وتذاكرهو وابن عباس أمر الذى يشك في صلاته فلم يكن قد بلغته السنة في ذلك حتى قال عبد الرحمن بن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه يطرح الشك و يبنى على ما استيقن وكان مرة في السفر فهاجت ريح فجعل يقول من يحدثنا عن الريح قال أبو هريرة فبلغنى وأنا في أخريات الناس فحثثت راحلتى حتى أدركته فحدثته بما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم عند هبوب الريح

فهذه مواضع لم يكن يعلمها حتى بلغه اياها من ليس مثله ومواضع أخر لم يبلغه ما فيها من السنة فقضى فيها أو أفتى فيها بغير ذلك مثل ماقضى في دية الاصابع أنها مختلفة بحسب منافعها وقد كان عندأبى موسى وابن عباس وهما دونه بكثير في العلم علم بان النبى صلى الله عليه وسلم قال هذه وهذه سواء يعنى الابهام والخنصر فبلغت هذه السنة لمعاوية رضى الله عنه في إمارته فقضى بها ولم يجد المسلمون بدا من اتباع ذلك ولم يكن عيبا في عمر رضى الله عنه حيث لم يبلغه الحديث وكذلك كان ينهى المحرم عن التطيب قبل الاحرام وقبل الافاضة الى مكة بعد رمى جمرة العقبة هو وابنه عبد الله رضى الله عنهما وغيرهما من أهل الفضل ولم يبلغهم حديث عائشة رضى الله عنها طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه قبل ان يحرم ولحله قبل ان يطوف وكان يأمر لابس الخف ان يمسح عليه الى ان يخلعه من غير توقيت واتبعه على ذلك طائفة من السلف ولم تبلغهم أحاديث التوقيت التى صحت عند بعض من ليس مثلهم في العلم وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة صحيحة وكذلك عثمان رضى الله عنه لم يكن عنده علم بان المتوفي عنها زوجها تعتد في بيت الموت حتى حدثته الفريعة بنت مالك أخت أبى سعيد الخدرى بقضيتها لما توفي زوجها وان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها امكثى في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله فاخذ به عثمان واهدى له مرة صيد كان قد صيد لاجله فهم بأكله حتى أخبره على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم رد لحما اهدى له وكذلك على رضى الله عنه قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء ان ينفعنى منه واذا حدثنى غيره استحلفته

فاذا حلف لى صدقته وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر وذكر حديث صلاة التوبة المشهور
وأفتى هو وابن عباس وغيرهما بان المتوفي عنها اذا كانت حاملا تعتد بأبعد الاجلين
ولم يكن قد بلغتهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيعة الاسلمية حيث أفتاها
النبى صلى الله عليه وسلم بان عدتها وضع حملها وأفتى هو وزيد وابن عمر وغيرهم
بان المفوضة اذا مات عنها زوجها فلا مهر لها ولم تكن بلغتهم سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بروع بنت واشق وهذا باب واسع يبلغ المنقول منه عن أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم عدداً كثيراً جداً وأما المنقول منه عن غيرهم فلا يمكن الاحاطة
به فانه الوف فهؤلاء كانوا أعلم الامة وأفقهها وأتقاها وأفضلها فمن بعدهم أنقص فخفاء
بعض السنة عليه أولى فلا يحتاج الى بيان فمن اعتقد ان كل حديث صحيح قد بلغ كل
واحد من الائمة أو إماما معينا فهو مخطىء خطأ فاحشا قبيحا

ولا يقولن قائل الاحاديث قد دونت وجمعت فخفاؤها والحال هذه بعيد لأن هذه
الدواوين المشهورة في السنن انما جمعت بعد انقراض الائمة المتبوعين ومع هذا فلا
يجوز ان يدعى انحصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معينة ثم لو
فرض انحصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما في الكتب يعلمه
العالم ولا يكاد ذلك يحصل لاحد بل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة وهو
لايحيط بما فيها بل الذين كانوا قبل جمع هذه الدواوين اعلم بالسنة من المتأخرين بكثير
لان كثيرا مما بلغهم وصح عندهم قدلا يبلغنا الا عن مجهول أو باسناد منقطع أولا يبلغنا
بالكلية فكانت دواوينهم صدورهم التى تحوى أضعاف ما في الدواوين وهذا أمر
لايشك فيه من علم القضية ولا يقولن قائل من لم يعرف الاحاديث كلها لم يكن مجتهداً
لانه ان اشترط في المجتهد علمه بجميع ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم وفعله فيما يتعلق
بالاحكام فليس في الامة مجتهد وانما غاية العالم أن يعلم جمهور ذلك ومعظمه بحيث لايخفى
عليه الا القليل من التفصيل ثم انه قد يخالف ذلك القليل من التفصيل الذى يبلغه

السبب الثانى أن يكون الحديث قد بلغه لكنه لم يثبت عنده محدثه أو محدث محدثه
أو غيره من رجال الاسناد مجهول عنده أو متهم أو سيىء الحفظ واما لانه لم يبلغه
مسنداً بل منقطعا أو لم يضبط لفظ الحديث مع أن ذلك الحديث قد رواه الثقات
لغيره باسناد متصل بان يكون غيره يعلم من المجهول عنده الثقة أو يكون قد رواه غير
أولئك المجروحين عنده أو قد اتصل من غير الجهة المنقطعة وقد ضبط الفاظ الحديث

بعض المحدثين الحفاظ أو لتلك الرواية من الشواهد والمتابعات ما يبين صحتها وهذا أيضا كثير جدا وهو في التابعين وتابعيهم الى الائمة المشهورين من بعدهم أكثر من العصر الاول أو كثير من القسم الاول فان الاحاديث كانت قد انتشرت واشتهرت لكن كانت تبلغ كثيرا من العلماء من طرق ضعيفة وقد بلغت غيرهم من طرق صحيحة غير تلك الطرق فتكون حجة من هذا الوجه مع انها لم تبلغ من خالفها من هذا الوجه ولهذا وجد في كلام غير واحد من الائمة تعليق القول بموجب الحديث على صحته فيقول قولى في هذه المسئلة كذا وقد روى فيها حديث بكذا فان كان صحيحا فهو قولى

السبب الثالث اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره مع قطع النظر عن طريق آخر سواء كان الصواب معه أو مع غيره أو معهما عند من يقول كل مجتهد مصيب ولذلك أسباب منها أن يكون المحدث بالحديث يعتقده أحدهما ضعيفا ويعتقده الآخر ثقة ومعرفة الرجال علم واسع ثم قد يكون المصيب من يعتقد ضعفه لاطلاعه على سبب جارح وقد يكون الصواب مع الآخر لمعرفته ان ذلك السبب غير جارح اما لان جنسه غير جارح أو لانه كان له فيه عذر يمنع الجرح وهذا باب واسع وللعلماء بالرجال وأحوالهم في ذلك من الاجماع والاختلاف مثل ما لغيرهم من سائر أهل العلم في علومهم ومنها أن لا يعتقد أن المحدث سمع الحديث ممن حدث عنه وغيره يعتقد انه سمعه لاسباب توجب ذلك معروفة ومنها أن يكون للمحدث حالان حال استقامة وحال اضطراب مثل أن يختلط أو تحرق كتبه فما حدث به في حال الاستقامة صحيح وما حدث به في حال الاضطراب ضعيف فلا يدرى ذلك الحديث من أى النوعين وقد علم غيره انه مما حدث به في حال الاستقامة ومنها أن يكون المحدث قد نسى ذلك الحديث فلم يذكره فيما بعد أو أنكر أن يكون حدثه معتقدا أن هذا علة توجب ترك الحديث ويرى غيره ان هذا مما يصح الاستدلال به والمسئلة معروفة ومنها ان كثيراً من الحجازيين يرون أن لا يحتج بحديث عراقى أو شامي ان لم يكن له أصل بالحجاز حتى قال قائلهم نزلوا أحاديث أهل العراق بمنزلة أحاديث أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقيل لآخر سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله حجة قال ان لم يكن له أصل بالحجاز فلا وهذا لاعتقادهم ان أهل الحجاز ضبطوا السنة فلم يشذ عنهم منها شئ وان أحاديث العراقيين وقع فيها اضطراب

أوجب التوقف فيها وبعض العراقيين يرى أن لا يحتج بحديث الشاميين وان كان أكثر الناس على ترك التضعيف بهذا فمتى كان الاسناد جيدا كان الحديث حجة سواء كان الحديث حجازياً أو عراقياً أو شامياً أو غير ذلك وقد صنف أبو داود السجستانى كتابا في مفاريد أهل الأمصار من السنن يبين ما اختص به أهل كل مصر من الامصار من السنن التى لاتوجد مسندة عند غيرهم مثل المدينة ومكة والطائف ودمشق وحمص والكوفة والبصرة وغيرها الى أسباب أخر غير هذه

السبب الرابع اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ شروطا يخالفه فيها غيره مثل اشتراط بعضهم عرض الحديث على الكتاب والسنة واشتراط بعضهم أن يكون المحدث فقيها اذا خالف قياس الاصول واشتراط بعضهم انتشار الحديث وظهوره اذا كان فيما تعم به البلوى الى غير ذلك مماهو معروف في مواضعه

السبب الخامس أن يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده لكن نسيه وهذا يرد في الكتاب والسنة مثل الحديث المشهور عن عمر رضى الله عنه انه سئل عن الرجل يجنب في السفر فلا يجد الماء فقال لا يصل حتى يجد الماء فقال له عمار يا أمير المؤمنين أما تذكر اذ كنت أنا وأنت في الابل فاجنبنا فأما أنا فتمرغت كما تمرغ الدابة وأما أنت فلم تصل فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انما يكفيك هكذا وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه فقال له عمر اتق الله يا عمار فقال ان شئت لم أحدث به فقال بل نوليك من ذلك ما توليت فهذه سنة شهدها عمر ثم نسيها حتى أفتى بخلافها وذكره عمار فلم يذكر وهو لم يكذب عمارا بل أمره أن يحدث به وأبلغ من هذا انه خطب الناس فقال لا يزيد رجل على صداق أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وبناته الارددته فقالت امرأة يا أمير المؤمنين لم تحرمنا شيأ أعطانا الله اياه ثم قرأت (أو آتيتم احداهن قنطاراً) فرجع عمر الى قولها وقد كان حافظا للآية ولكن نسيها وكذلك ماروى ان علياً ذكر الزبير يوم الجمل شيأ عهده اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره حتى انصرف عن القتال وهذا كثير في السلف والخلف

السبب السادس عدم معرفته بدلالة الحديث تارة لكون اللفظ الذى في الحديث غريبا عنده مثل لفظ المزابنة والمحاقلة والمخابرة والملامسة والمنابذة والغرر الى غير ذلك من الكلمات الغريبة التى قد يختلف العلماء في تفسيرها وكالحديث المرفوع لاطلاق ولاعتاق في اغلاق فانهم قد فسروا الاغلاق بالاكراه ومن يخالفه لايعرف

هذا التفسير وتارة لكون معناه في لغته وعرفه غير معناه في لغة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحمله على مايفهمه في لغته بناء على ان الاصل بقاء اللغة كما سمع بعضهم آثارا في الرخصة في النبيذ فظنوه بعض أنواع المسكر لانه لغتهم وانما هو ما ينبذ لتحلية الماء قبل أن يشتد فانه جاء مفسرا في أحاديث كثيرة صحيحة وسمعوا لفظ الخمر في الكتاب والسنة فاعتقدوه عصير العنب المشتد خاصة بناء على انه كذلك في اللغة وان كان قد جاء من الاحاديث أحاديث صحيحة تبين ان الخمر اسم لكل شراب مسكر وتارة لكون اللفظ مشتركا أو مجملا أو متردداً بين حقيقة ومجاز فيحمله على الاقرب عنده وان كان المراد هو الآخر كما حمل جماعة من الصحابة في أول الأمر الخيط الابيض والخيط الاسود على الحبل وكما حمل آخرون قوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم على اليد الى الابط وتارة لكون الدلالة من النص خفية فان جهات دلالات الاقوال متسعة جدا يتفاوت الناس في ادراكها وفهم وجوه الكلام بحسب منح الحق سبحانه ومواهبه ثم قد يعرفها الرجل من حيث العموم ولا يتفطن لكون هذا المعنى داخلا في ذلك العام ثم قد يتفطن له تارة ثم ينساه بعد ذلك وهذا باب واسع جدا لا يحيط به الا الله وقد يغلط الرجل فيفهم من الكلام ما لا تحتمله اللغة العربية التى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بها

السبب السابع اعتقاده أن لا دلالة في الحديث والفرق بين هذا و بين الذى قبله ان الاول لم يعرف جهة الدلالة والثانى عرف جهة الدلالة لكن اعتقد انها ليست دلالة صحيحة بان يكون له من الاصول ما يرد تلك الدلالة سواء كانت في نفس الأمر صوابا أو خطأ مثل ان يعتقد ان العام المخصوص ليس بحجة وان المفهوم ليس بحجة وان العموم الوارد على سبب مقصور على سببه أو ان الامر المجرد لا يقتضى الوجوب اولا يقتضى الفور أو ان المعرف باللام لا عموم له أو ان الافعال المنفية لا تنفى ذواتها ولا جميع أحكامها أو أن المقتضى لا عموم له فلا يدعى العموم في المضمرات والمعانى الى غير ذلك مما يتسع القول فيه فان شطر أصول الفقه تدخل مسائل الخلاف منه في هذا القسم وان كانت الاصول المجردة لم تحط بجميع الدلالات المختلف فيها وتدخل فيه افراد اجناس الدلالات هل هى من ذلك الجنس أم لا مثل ان يعتقد أن هذا اللفظ المعين مجمل بان يكون مشتركا لا دلالة تعين أحد معنييه أو غير ذلك

السبب الثامن اعتقاده ان تلك الدلالة قد عارضها ما دل على انها ليست مرادة مثل

معارضة العام بخاص أو المطلق بمقيد أو الامر المطلق بما ينفي الوجوب أو الحقيقة بما يدل على المجاز الى أنواع المعارضات وهو باب واسع أيضا فان تعارض دلالات الاقوال وترجيح بعضها على بعض بحر خضم

السبب التاسع اعتقاد ان الحديث معارض بما يدل على ضعفه أو نسخه أو تأويله ان كان قابلا للتأويل بما يصلح ان يكون معارضا بالاتفاق مثل آية أو حديث آخر أو مثل اجماع وهذا نوعان أحدهما ان يعتقد ان هذا المعارض راجح في الجملة فيتعين أحد الثلاثة من غير واحد منها وتارة يعين أحدها بان يعتقد انه منسوخ أو انه مؤول ثم قد يغلط في النسخ فيعتقد المتأخر متقدما وقد يغلط في التأويل بان يحمل الحديث على مالا يحتمله لفظه أو هناك ما يدفعه واذا عارضه من حيث الجملة فقد لايكون ذلك المعارض دالا وقد لا يكون الحديث المعارض في قوة الاول اسنادا أو متنا وتجيء هنا الاسباب المتقدمة وغيرها في الحديث الاول والاجماع المدعى في الغالب انما هو عدم العلم بالمخالف وقد وجدنا من أعيان العلماء من صاروا الى القول باشياء متمسكهم فيها عدم العلم بالمخالف مع ان ظاهر الادلة عندهم يقتضي خلاف ذلك لكن لا يمكن العالم أن يبتدئ قولا لم يعلم به قائلا مع علمه بان الناس قد قالوا خلافه حتى ان منهم من يعلق القول فيقول انكان في المسئلة اجماع فهو أحق ما يتبع والا فالقول عندي كذا وكذا وذلك مثل من يقول لا أعلم أحداً اجاز شهادة العبد وقبولها محفوظ عن عليّ وأنس وشريح وغيرهم ويقول أجمعوا على ان المعتق بعضه لا يرث وتوريثه محفوظ عن علي وابن مسعود وفيه حديث حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول آخر لا أعلم أحداً أوجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وايجابها محفوظ عن أبي جعفر الباقر وذلك ان غاية كثير من العلماء ان يعلم قول أهل العلم الذين أدركهم في بلاده وأقوال جماعات غيرهم كما تجد كثيراً من المتقدمين لا يعلم الا قول المدنيين والكوفيين وكثيرا من المتأخرين لا يعلم الا قول اثنين أو ثلاثة من الائمة المتبوعين وما خرج عن ذلك فانه عنده يخالف الاجماع لانه لا يعلم به قائلا وما زال يقرع سمعه خلافه فهذا لا يمكنه ان يصير الى حديث يخالف هذا لخوفه ان يكون هذا خلافا للاجماع أو لاعتقاده انه مخالف للاجماع والاجماع أعظم الحجج وهذا عذر كثير من الناس في كثير مما يتركونه و بعضهم معذور فيه حقيقة و بعضهم معذور فيه وليس في الحقيقة بمعذور وكذلك كثير من الاسباب قبله و بعده

السبب العاشر معارضته بما يدل على ضعفه أو نسخه أو تأويله مما لا يعتقده غيره أو جنسه معارض أولا يكون في الحقيقة معارضا راجحا كمعارضة كثير من الكوفيين الحديث الصحيح بظاهر القرآن واعتقادهم ان ظاهر القرآن من العموم ونحوه مقدم على نص الحديث ثم قد يعتقد ما ليس بظاهر ظاهرا لما في دلالات القول من الوجوه الكثيرة ولهذا ردوا حديث الشاهد واليمين وان كان غيرهم يعلم ان ليس في ظاهر القرآن ما يمنع الحكم بشاهد ويمين ولو كان فيه ذلك فالسنة هى المفسرة للقرآن عندهم وللشافعى في هذه القاعدة كلام معروف ولأحمد فيها رسالته المشهورة في الرد على من يزعم الاستغناء بظاهر االقرآن عن تفسير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أورد فيها من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره ومن ذلك دفع الخبر الذى فيه تخصيص لعموم الكتاب أو تقييد لمطلقه أو فيه زيادة عليه واعتقاد من يقول ذلك ان الزيادة على النص كتقييد المطلق نسخ وان تخصيص العام نسخ وكمعارضة طائفة من المدنيين الحديث الصحيح بعمل أهل المدينة بناء على أنهم مجمعون على مخالفة الخبر وان اجماعهم حجة مقدمة على الخبر كمخالفة أحاديث خيار المجلس بناء على هذا الاصل وان كان أكثر الناس قد يثبتون ان المدنيين قد اختلفوا في تلك المسئلة وانهم لو اجمعوا وخالفهم غيرهم لكانت الحجة في الخبر وكمعارضة قوم من البلدين بعض الاحاديث بالقياس الجلى بناء على ان القواعد الكلية لاتنقض بمثل هذا الخبر الى غير ذلك من أنواع المعارضات سواء كان المعارض مصيبا أومخطئاً

فهذه الاسباب العشرة ظاهرة وفي كثير من الاحاديث يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع نحن عليها فان مدارك العلم واسعة ولم نطلع نحن على جميع ما في بواطن العلماء والعالم قد يبدى حجته وقد لايبديها واذا ابداها فقد تبلغنا وقد لاتبلغ واذا بلغتنا فقد ندرك موضع احتجاجه وقد لاندركه سواء كانت الحجة صوابا في نفس الأمر أم لا لكن نحن وان جوزنا هذا فلا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم الى قول آخر قاله عالم يجوز ان يكون معه ما يدفع به هذه الحجة وان كان أعلم اذ تطرق الخطأ الى آراء العلماء أكثر من تطرقه الى الادلة الشرعية فان الادلة الشرعية حجة الله على جميع عباده بخلاف رأى العالم والدليل الشرعى يمتنع ان يكون خطأ اذا لم يعارضه دليل آخر ورأى العالم ليس كذلك ولو كان العمل بهذا التجويز جائزا لما بقى في ايدينا شئ من الادلة التى يجوز

فيها مثل هذا لكن الغرض انه في نفسه قد يكون معذوراً في تركه له ونحن معذورون في تركنا لهذا الترك وقد قال سبحانه (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت) الآية وقال سبحانه (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) وليس لاحد ان يعارض الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بقول أحد من الناس كما قال ابن عباس رضى الله عنهما لرجل سأله عن مسألة فاجابه فيها بحديث فقال له قال أبو بكر و عمر فقال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر واذا كان الترك يكون لبعض هذه الاسباب فاذا جاء حديث صحيح فيه تحليل أو تحريم أو حكم فلا يجوز أن يعتقد ان التارك له من العلماء الذين وصفنا أسباب تركهم يعاقب لكونه حلل الحرام أو حرم الحلال أو حكم بغير ماأنزل الله وكذلك ان كان في الحديث وعيد على فعل من لعنة أو غضب أو عذاب ونحو ذلك فلا يجوز أن يقال ان ذلك العالم الذى أباح هذا أو فعله داخل في هذا الوعيد وهذا مما لانعلم بين الامة فيه خلافا الاشيأ يحكى عن بعض معتزلة بغداد مثل المريسى وأضرابه انهم زعموا ان المخطىء من المجتهدين يعاقب على خطئه وهذا لأن لحوق الوعيد لمن فعل المحرم مشروط بعلمه بالتحريم أو بتمكنه من العلم بالتحريم فان من نشأ ببادية أو كان حديث عهد بالاسلام وفعل شيئا من المحرمات غير عالم بتحريمها لم يأثم ولم يحد وان لم يستند في استحلاله الى دليل شرعى فمن لم يبلغه الحديث المحرم واستند في الاباحة الى دليل شرعى أولى ان يكون معذوراً ولهذا كان هذا مأجوراً محموداً لاجل اجتهاده قال الله سبحانه (وداود وسليمان) الى قوله (وعلما) فاختص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم

وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران واذا اجتهد فاخطأ فله أجر فتبين ان المجتهد مع خطئه له أجر وذلك لاجل اجتهاده وخطأه مغفور له لأن درك الصواب في جميع أعيان الاحكام اما متعذر أو متعسر وقد قال تعالى (ماجعل عليكم في الدين من حرج) وقال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه عام الخندق لا يصلين أحد العصر الا في بنى قريظة فادركتهم صلاة العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلى الا في بنى قريظة وقال بعضهم لم يرد منا هذا فصلوا في الطريق فلم يعب واحدة من الطائفتين فالاولون تمسكوا

بعموم الخطاب فجعلوا صورة الفوات داخلة في العموم والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم فان المقصود المبادرة الى القوم وهى مسئلة اختلف فيها الفقهاء اختلافا مشهورا هل يخص العموم بالقياس ومع هذا فالذين صلوا في الطريق كانوا أصوب وكذلك بلال رضى الله عنه لما باع الصاعين بالصاع امره النبى صلى الله عليه وسلم برده ولم يرتب على ذلك حكم اكل الربا من التفسيق واللعن والتغليظ لعدم علمه كان بالتحريم وكذلك عدى بن حاتم و جماعة من الصحابة لما أعتقدوا ان قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) معناه الحبال البيض والسود فكان أحدهم يجعل عقالين أبيض وأسود ويأكل حتى يتبين احدهما من الآخر فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعدى إن وسادك اذا العريض انما هو بياض النهار وسواد الليل فاشار الى عدم فقهه لمعنى الكلام ولم يرتب على هذا الفعل ذم من أفطر في رمضان وإن كان من أعظم الكبائر بخلاف الذين أفتوا المشجوج في البرد بوجوب الغسل فاغتسل فمات فانه قال قتلوه قتلهم الله هلا سألوا اذ لم يعلموا انما شفاء العى السؤال فان هؤلاء اخطأوا بغير اجتهاد اذلم يكونوا من أهل العلم وكذلك لم يوجب على أسامة بن زيد قودا ولادية ولا كفارة لما قتل الذى قال لاإله الا الله في غزوة الحرقات فانه كان معتقدا جواز قتله بناء على أن هذا الاسلام ليس بصحيح مع أن قتله حرام وعمل بذلك السلف و جمهور الفقهاء في أن ما استباحه أهل البغى من دماء أهل العدل بتأويل سائغ لم يضمن بقود ولا دية ولا كفارة وان كان قتلهم وقتالهم محرما وهذا الشرط الذى ذكرناه في لحوق الوعيد لايحتاج أن يذكر في كل خطاب لاستقرار العلم به في القلوب كما أن الوعد على العمل مشروط باخلاص العمل لله وبعدم حبوط العمل بالردة ثم ان هذا الشرط لا يذكر في كل حديث فيه وعد ثم حيث قدر قيام الموجب للوعيد فان الحكم يتخلف عنه لمانع وموانع لحوق الوعيد متعددة منها التوبة ومنها الاستغفار ومنها الحسنات الماحية للسيئات ومنها بلاء الدنيا ومصائبها ومنها شفاعة شفيع مطاع ومنها رحمة أرحم الراحمين فاذا عدمت هذه الاسباب كلها ولن تعدم الا في حق من عتى وتمرد وشرد على الله شراد البعير على أهله فهنالك يلحق الوعيد به وذلك أن حقيقة الوعيد بيان أن هذا العمل سبب في هذا العذاب فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه أما أن كل شخص قام به ذلك السبب يجب وقوع ذلك المسبب به فهذا باطل قطعا لتوقف ذلك المسبب على وجود

الشرط وزوال جميع الموانع

وإيضاح هـذا أن من ترك العمل بحديث فلا يخلو من ثلاثة أقسام إما أن يكون تركا جائزا باتفاق المسلمين كالترك في حق من لم يبلغه ولا قصر في الطلب مع حاجته الى الفتيا أو الحكم كما ذكرناه عن الخلفاء الراشدين وغيرهم فهذا لا يشك مسلم أن صاحبه لا يلحقه من معرة الترك شيء وإما أن يكون تركا غـير جائز فهذا لا يكاد يصـدر من الأئمة إن شاء الله تعالى لكن الذي قد يخاف على بعض العلماء أن يكون الرجل قاصرا في درك تلك المسئلة فيقول مع عدم أسـباب القول وان كان له فيها نظر واجتهاد أو يقصر في الاستدلال فيقول قبل أن يبلغ النظر نهايته مع كونه متمسكا بحجة أو يغلب عليه عادة أو غرض يمنعه من استيفاء النظر لينظر فيما يعارض ما عنده وإن كان لم يقل الا بالاجتهاد والاستدلال فان الحد الذي يجب أن ينتهى اليه الاجتهاد قد لا ينضبط للمجتهد

ولهذا كان العلماء يخافون مثل هذا خشية ان لا يكون الاجتهاد المعتبر قد وجد في تلك المسئلة المخصوصة فهذه ذنوب لكن لحوق عقوبة الذنب بصاحبه انما تنال لمن لم يتب وقد يمحوها الاستغفار والاحسان والبلاء والشـفاعة والرحمة ولم يدخل في هذا من يغلبه الهوى و يصرعه حتى ينصر ما يعلم انه باطل أو من يجزم بصواب قول أوخطئه من غـير معرفة منه بدلائل ذلك القول نفيا واثباتا فان هذين في النار كما قال النبى صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة فاما الذى في الجنة فرجل علم الحق فقضى به وأما اللذان في النار فرجل قضى للناس على جهل ورجل علم الحق وقضى بخلافه والمفتون كذلك لكن لحوق الوعيد للشخص المعـين أيضا له موانع كما بيناه فلو فرض وقوع بعض هذا من بعض الاعيان من العلماء المحمودين عند الامة مع أن هذا بعيد أو غير واقع لم يعدم أحدهم أحد هذه الاسـباب ولو وقع لم يقدح في امامتهم على الاطلاق فانا لا نعتقد في القوم العصـمة بل نجوز عليهم الذنوب ونرجو لهم مع ذلك أعلى الدرجات لما اختصهم الله به من الاعمال الصالحة والاحوال السـنية وانهم لم يكونوا مصرين على ذنب وليسوا بأعلى درجة من الصحابة رضى الله عنهم والقول فيهم كذلك فيما اجتهدوا فيه من الفتاوى والقضايا والدماء التى كانت بينهم وغير ذلك ثم انهم مع العلم بان التارك الموصـوف معذور بل مأجور لا يمنعنا ان نتبع الاحاديث الصحيحة التى لا نعلم لها معارضا يدفعها وان نعتقد وجوب العمل بها على

الامة وو جوب تبليغها وهذا مما لا يختلف العلماء فيه

ثم هى منقسمة الى ما دلالته قطعية بان يكون قطعى السند والمتن وهو ماتيقنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله وتيقنا انه اراد به تلك الصورة والى مادلالته ظاهرة غير قطعية فاما الاول فيجب اعتقاد موجبه علما وعملا وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء في الجملة وانما قد يختلفون في بعض الاخبار هل هو قطعى السند أو ليس بقطعى وهل هو قطعى الدلالة أو ليس بقطعى مثل اختلافهم في خبر الواحد الذى تلقته الامة بالقبول والتصديق أو الذى اتفقت على العمل به فعند عامة الفقهاء واكثر المتكلمين انه يفيد العلم وذهب طوائف من المتكلمين الى انه لايفيده وكذلك الخبر المروى من عدة جهات يصدق بعضها بعضا من أناس مخصوصين قد تفيد العلم اليقينى لمن كان عالما بتلك الجهات وبحال أولئك المخبرين وبقرائن وضمائم تحتف بالخبر وان كان العلم بذلك الخبر لا يحصل لمن لم يشركه في ذلك

ولهذا كان علماء الحديث الجهابذة فيه المتبحرون في معرفته قد يحصل لهم اليقين التام باخبار وان كان غيرهم من العلماء قد لا يظن صدقها فضلا عن العلم بصدقها ومبنى هذا على أن الخبر المفيد للعلم يفيده من كثرة المخبرين تارة ومن صفات المخبرين أخرى ومن نفس الاخبار به أخرى ومن نفس ادراك المخبر له أخرى ومن الأمر المخبر به أخرى فرب عدد قليل أفاد خبرهم العلم لما هم عليه من الديانة والحفظ الذى يؤمن معه كذبهم أو خطأهم وأضعاف ذلك العدد من غيرهم قد لا يفيد العلم هذا هو الحق الذى لا ريب فيه وهو قول جمهور الفقهاء والمحدثين وطوائف من المتكلمين

وذهب طوائف من المتكلمين و بعض الفقهاء الى ان كل عدد أفاد العلم خبرهم بقضية افاد خبر مثل ذلك العدد العلم في كل قضية وهذا باطل قطعا

لكن ليس هذا موضع بيان ذلك فاما تأثير القرائن الخارجة عن المخبرين في العلم بالخبر فلم نذكره لان تلك القرائن قد تفيد العلم لو تجردت عن الخبر واذا كانت بنفسها قد تفيد العلم لم تجعل تابعة للخبر على الاطلاق كما لم يجعل الخبر تابعا لها بل كل منهما طريق الى العلم تارة والى الظن أخرى وان اتفق اجتماع ما يوجب العلم به منهما أو اجتماع موجب العلم من أحدهما وموجب الظن من الآخر وكل من كان بالاخبار أعلم قد يقطع بصدق أخبار لا يقطع بصدقها من ليس مثله وتارة يختلفون في كون الدلالة قطعية لاختلافهم في ان ذلك الحديث هل هو نص أو ظاهر واذا كان ظاهرا فهل فيه

ماينفي الاحتمال المرجوح أولا وهذا أيضا باب وأسع فقد يقطع قوم من العلماء بدلالة أحاديث لا يقطع بها غيرهم إما لعلمهم بان الحديث لا يحتمل الا ذلك المعنى أو لعلمهم بان المعنى الآخر يمنع حمل الحديث عليه أو لغير ذلك من الادلة الموجبة للقطع

وأما القسم الثاني وهو الظاهر فهذا يجب العمل به في الاحكام الشرعية باتفاق العلماء المعتبرين فان كان قد تضمن حكما علميا مثل الوعيد ونحوه فقد اختلفوا فيه

فذهب طوائف من الفقهاء الى ان خبر الواحد العدل اذا تضمن وعيداً على فعل فانه يجب العمل به في تحريم ذلك الفعل ولايعمل به في الوعيد الا ان يكون قطعيا وكذلك لوكان المتن قطعيا لكن الدلالة ظاهرة وعلى هذا حملوا قول عائشة رضى الله عنها أبلغى زيداً انه قد ابطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يتوب قالوا فعائشة ذكرت الوعيد لانها كانت عالمة به ونحن نعمل بخبرها في التحريم وان كنا لانقول بهذا الوعيد لان الحديث انما ثبت عندنا بخبر واحد وحجة هؤلاء ان الوعيد من الامور العلمية فلا تثبت الا بما يفيد العلم وأيضاً فان الفعل اذا كان مجتهدا في حكمه لم يلحق فاعله الوعيد فعلى قول هؤلاء يحتج باحاديث الوعيد في تحريم الافعال مطلقا ولا يثبت بها الوعيد الا ان تكون الدلالة قطعية. ومثله احتجاج اكثر العلماء بالقراآت التى صحت عن بعض الصحابة مع كونها ليست في مصحف عثمان رضى الله عنه فانها تضمنت عملا وعلما وهى خبر واحد صحيح فاحتجوا بها في اثبات العمل ولم يثبتوها قرآنا لأنها من الامور العلمية التى لاتثبت الا بيقين

وذهب الاكثرون من الفقهاء وهو قول عامة السلف الى أن هذه الاحاديث حجة في جميع ماتضمنته من الوعيد فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين بعدهم مازالوا يثبتون بهذه الاحاديث الوعيد كما يثبتون بها العمل ويصرحون بلحوق الوعيد الذى فيها للفاعل في الجملة وهذا منتشر عنهم في أحاديثهم وفتاويهم وذلك لأن الوعيد من جملة الاحكام الشرعية التى ثبتت بالادلة الظاهرة تارة وبالادلة القطعية أخرى فانه ليس المطلوب اليقين التام بالوعيد بل المطلوب الاعتقاد الذى يدخل في اليقين والظن الغالب كما ان هذا هو المطلوب في الاحكام العملية ولا فرق بين اعتقاد الانسان أن الله حرم هذا واوعد فاعله بالعقوبة المجملة واعتقاده ان الله حرمه وأوعده عليه بعقوبة معينة من حيث أن كلا منهما إخبار عن الله فكما جاز الاخبار عنه بالاول بمطلق الدليل فكذلك الإخبار عنه بالثاني بل لو قال قائل العمل بها في الوعيد أوكد

كان صحيحا ولهـذا كانوا يسهلون في أسانيد أحاديث الترغيب والترهيب مالا يسهلون في أسانيد أحاديث الاحكام لأن اعتقاد الوعيـد يحمل النفوس على الترك فان كان ذلك الوعيد حقا كان الانسان قد نجا وان لم يكن الوعيد حقا بل عقوبة الفـعل أخف من ذلك الوعيد لم يضر الانسان اذا ترك ذلك الفعل خطأه في اعتقاده زيادة العقوبة لأنه ان اعتقد نقص العقوبة فقـد يخطىء أيضا وكذلك ان لم يعتقد في تلك الزيادة نفيا ولا إثباتا فقد يخطىء فهذا الخطأ قد يهون الفعل عنـده فيقع فيه فيستحق العقوبة الزائدة ان كانت ثابتة أويقوم به سبب استحقاق ذلك فاذاً الخطأ في الاعتقاد على التقديرين تقدير اعتقاد الوعيـد وتقدير عدمه سواء والنجاة من العذاب على تقدير اعتقاد الوعيد أقرب فيكون هذاالتقدير أولى

وبهذا الدليـل رجح عامة العلماء الدليل الحاظر على الدليـل المبيح وسلك كثير من الفقهاء طريقة الاحتياط في كثير من الاحكام بناء على هذاوأما الاحتياط فيالفعل فكالمجمع على حسنه بين العقلاء في الجملة فاذا كان خوفه من الخطأ بنفى اعتقاد الوعيد مقابلا لخوفه من الخطأ في عدم هذا الاعتقاد بقي الدليـل الموجب لاعتقاده والنجاة الحاصلة في اعتقاده دليلين سالمين عن المعارض

وليس لقائل أن يقول عدم الدليل القطعى على الوعيد دليل على عدمه كعدم الخبر المتواتر على القرا آت الزائدة على مافي المصحف لأن عدم الدليـل لايدل على عـدم المدلول عليه ومن قطع بنفى شىء من الامور العلمية لعدم الدليل القاطع على وجودها كما هو طريقة طائفـة من المتكلمين فهو مخطىء خطأً بينا لكن اذا علمنا أن وجود الشيء مستلزم لوجود الدليل وعلمنا عدم الدليل قطعنا بعدم الشيء المستلزم لأن عدم اللازم دليل على عدم الملزوم وقد علمنا ان الدواعى متوفرة على نقل كتاب اللهودينه فانه لايجوز على الامة كتمان مايحتاج الى نقله حجة عامة فلما لم ينقل نقلا عاما صلاة سادسة ولا سورة أخرى علمنا يقينا عدم ذلك وباب الوعيد ليس من هذا الباب فانه لايجب في كل وعيد على فعل أن ينقل نقلا متواترا كما لايجب ذلك في حكم ذلك الفعل فثبت ان الاحاديث المتضمنة للوعيد يجب العمل بها في مقتضاها باعتقاد ان فاعل ذلك الفعل متوعد بذلك الوعيد لكن لحوق الوعيد به متوقف على شروط وله موانع

وهذه القاعدة تظهر بأمثلة • منها انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه • وصح عنه من غـير وجه أنه قال لمن

باع صاعين بصاع يدا بيد أوّه عين الربا كما قال البر بالبر ربا الآهاوها الحديث وهذا يوجب دخول نوعى الربا ربا الفضل وربا النسأ في الحديث ثم ان الذين بلغهم قول النبي صلى الله عليه وسلم انما الربا في النسيئة فاستحلوا بيع الصاعين بالصاع يدا بيد مثل ابن عباس رضى الله عنه وأصحابه أبى الشعثاء وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة وغيرهم من أعيان المكيين الذين هم من صفوة الامة علما وعملا لايحل لمسلم أن يعتقد ان أحدا منهم بعينه أو من قلده بحيث يجوز تقليده تبلغهم لعنة آكل الربا لانهم فعلوا ذلك متأولين تأويلا سائغا في الجملة

وكذلك مانقل عن طائفة من فضلاء المدنيين من إتيان المحاشّ مع ماروواه أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أتى امرأة في دبرها فهو كافر بما أنزل على محمد أفيستحل مسلم أن يقول ان فلانا وفلانا كانا كافرين بما أنزل على محمد • وكذلك قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه لعن في الخمر عشرة عاصر الخمر ومعتصرها وشاربها • وثبت عنه من وجوه أنه قال كل شراب أسكر فهو خمر وقال كل مسكر خمر • وخطب عمر رضى الله عنه على منبره صلى الله عليه وسلم فقال بين المهاجرين والانصار الخمر ماخامر العقل وأنزل الله تحريم الخمر وكان سبب نزولها ما كانوا يشربونه في المدينة ولم يكن لهم شراب الا الفضيخ لم يكن لهم من خمر الاعناب شئ • وقد كان رجال من أفاضل الامة علما وعملا من الكوفيين يعتقدون أن لاخمر الامن العنب وان ماسوى العنب والتمر لايحرم من نبيذه الا مقدار مايسكر ويشربون مايعتقدون حله فلا يجوز أن يقال ان هؤلاء مندرجون تحت الوعيد لما كان لهم من العذر الذى تأولوا به أو لموانع أخر فلا يجوز أن يقال ان الشراب الذى شربوه ليس من الخمر الملعون شاربها فان سبب القول العام لابد أن يكون داخلا فيه ولم يكن بالمدينة خمر من العنب ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد لعن البائع للخمر وقد باع بعض الصحابة خمرا حتى بلغ عمر فقال قاتل الله فلانا ألم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها ولم يكن يعلم ان بيعها محرم ولم يمنع عمر رضى الله عنه علمه بعدم علمه أن يبين جزاء هذا الذنب ليتناهى هو وغيره عنه بعد بلوغ العلم به وقد لعن العاصر والمعتصر • وكثير من الفقهاء يجوزون للرجل أن يعصر لغيره عنبا وان علم ان من نيته أن يتخذه خمرا فهذا نص في لعن العاصر مع العلم بأن المعذور تخلف الحكم عنه لمانع وكذلك لعن الواصلة

والموصولة في عدة أحاديث صحاح

ثم من الفقهاء من يكرهه فقط وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الذى يشرب في آنية الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ومن الفقهاء من يكرهه كراهة تنزيه

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار يجب العمل به في تحريم قتال المؤمنين بغير حق ثم انا نعلم ان أهل الجمل وصفين ليسوا في النار لأن لهما عذرا وتأويلا في القتال وحسنات منعت المقتضى أن يعمل عمله • وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء يمنعه ابن السبيل فيقول الله له اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل مالم تعمل يداك • ورجل بايع اماما لايبايعه الا لدنيا ان أعطاه رضى وانلم يعطه سخط • ورجل حلف على سلعة بعد العصر كاذبا لقد أعطى بها أكثر مما أعطى فهذا وعيد عظيم لمن منع فضل مائه مع ان طائفة من العلماء يجوزون للرجل أن يمنع فضل مائه فلا يمنعنا هذا الخلاف أن نعتقد تحريم هذا محتجين بالحديث ولا يمنعنا مجيء الحديث أن نعتقد أن المتأول معذور في ذلك لايلحقه هذا الوعيد

وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له وهو حديث صحيح قد روى عنه من غير وجه وعن أصحابه مع ان طائفة من العلماء صححوا نكاح المحلل مطلقا ومنهم من صححه اذا لم يشترط في العقد ولهم في ذلك أعذار معروفة فان قياس الاصول عند الاول ان النكاح لايبطل بالشروط كما لايبطل بجهالة أحد العوضين وقياس الاصول عند الثانى ان العقود المجردة عن شرط مقترن لاتغير أحكام العقود ولم يبلغ هذا الحديث من قال هذا القول• هذا هو الظاهر فان كتبهم المتقدمة لم تتضمنه ولو بلغهم لذكروه آخذين به أو مجيبين عنه أوبلغهم وتأولوه أو اعتقدوا نسخه أو كان عندهم مايعارضه فنحن نعلم ان مثل هؤلاء لايصيبه هذا الوعيد لوانه فعل التحليل معتقدا حله على هذا الوجه ولا يمنعنا ذلك أن نعلم ان التحليل سبب لهذا الوعيد وان تخلف في حق بعض الاشخاص لفوات شرط ووجود مانع

وكذلك استلحاق معاوية رضى الله عنه زياد بن أبيه المولود على فراش الحارث ابن كلدة لكون أبي سفيان كان يقول انه من نطفته مع أنه صلى الله عليه وسلم قد قال من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام وقال من ادعى الى

غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا حديث صحيح وقضى أن الولد للفراش وهو من الاحكام المجمع عليها فنحن نعلم أن من انتسب الى غير الاب الذى هو صاحب الفراش فهو داخل في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه لا يجوز أن يعين أحد دون الصحابة فضلا عن الصحابة فيقال ان هذا الوعيد لاحق به لامكان أنه لم يبلغهم قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الولد للفراش واعتقدوا أن الولد لمن أحبل أمه واعتقدوا أن أبا سفيان هو المحبل لسمية أم زياد فان هذا الحكم قد يخفى على كثير من الناس لا سيما قبل انتشار السنة مع أن العادة في الجاهلية كانت هكذا أو لغير ذلك من الموانع المانعة هذا المقتضى للوعيد أن يعمل عمله من حسنات تمحوا السيئات وغير ذلك وهذا باب واسع فانه يدخل فيه جميع الامور المحرمة بكتاب أو سنة اذا كان بعض الأمة لم يبلغهم أدلة التحريم فاستحلوها أو عارض تلك الادلة عندهم أدلة أخرى رأوا رجحانها عليها مجتهدين في ذلك الترجيح بحسب عقلهم وعلمهم فان التحريم له أحكام من التأثيم والذم والعقوبة والفسق وغير ذلك لكن لها شروط وموانع فقد يكون التحريم ثابتا وهذه الاحكام منتفية لفوات شرطها أو وجود مانع أو يكو التحريم منتفيا في حق ذلك الشخص مع ثبوته في حق غيره

وانما رددنا الكلام لأن للناس في هذه المسئلة قولين أحدهما وهو قول عامة السلف والفقهاء أن حكم الله واحد وأن من خالفه باجتهاد سائغ مخطئ معذور مأجور فعلى هذا يكون ذلك الفعل الذى فعله المتأول بعينه حراما لكن لا يترتب أثر التحريم عليه لعفو الله عنه فانه لا يكلف نفسا الا وسعها

والثانى في حقه ليس بحرام لعدم بلوغ دليل التحريم له وان كان حراما في حق غيره فتكون نفس حركة ذلك الشخص ليست حراما والخلاف متقارب وهو شبيه بالاختلاف في العبارة فهذا هو الذى يمكن أن يقال في أحاديث الوعيد اذا صادفت محل خلاف اذ العلماء مجمعون على الاحتجاج في تحريم الفعل المتوعد عليه سواء كان محل وفاق أو خلاف بل أكثر ما يحتاجون اليه الاستدلال بها في موارد الخلاف لكن اختلفوا في الاستدلال بها على الوعيد اذا لم تكن قطعية على ما ذكرناه

فان قيل فهل لا قلتم ان أحاديث الوعيد لا تتناول محل الخلاف وانما تتناول محل الوفاق وكل فعل لعن فاعله أو توعد بغضب أو عقاب حمل على فعل اتفق على تحريمه

لئلا يدخل بعض المجتهدين في الوعيد اذا فعل ما اعتقد تحليله بل المعتقد أبلغ من الفاعل اذ هو الآمر له بالفعل فيكون قد الحق به وعيد اللعن أو الغضب بطريق الاستلزام

قلنا الجواب من وجوه . أحدها أن جنس التحريم اما أن يكون ثابتا في محل خلاف أولا يكون فان لم يكن ثابتا في محل خلاف قط لزم أن لا يكون حراما الا ما أجمع على تحريمه فكل ما اختلف في تحريمه يكون حلالا وهذا مخالف لاجماع الامة وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الاسلام وان كان ثابتا ولو في صورة فالمستحل لذلك الفعل المحرم من المجتهدين اما أن يلحقه ذم من حلل الحرام أو فعله وعقوبته أولا فان قيل انه يلحقه أو قيل انه لا يلحقه فكذلك التحريم الثابت في حديث الوعيد اتفاقا والوعيد الثابت في محل الخلاف على ما ذكرناه من التفصيل بل الوعيد انما جاء على الفاعل وعقوبة محلل الحرام في الاصل أعظم من عقوبة فاعله من غير اعتقاد فاذا جاز ان يكون التحريم ثابتا في صورة الخلاف ولا يلحق المحلل المجتهد عقوبة ذلك الاحلال للحرام لكونه معذورا فيه فلأن لا يلحق الفاعل وعيد ذلك الفعل أولى وأحرى وكما لم يلزم دخول المجتهد تحت حكم هذا التحريم من الذم والعقاب وغير ذلك لم يلزم دخوله تحت حكمه من الوعيد اذ ليس الوعيد الا نوعا من الذم والعقاب فان جاز دخوله تحت هذا الجنس فما كان الجواب عن بعض أنواعه كان جوابا عن البعض الآخر ولا يغني الفرق بقلة الذم وكثرته أو شدة العقوبة وخفتها فان المحذور في قليل الذم والعقاب في هذا المقام كالمحذور في كثيره فان المجتهد لا يلحقه قليل ذلك ولا كثيره بل يلحقه ضد ذلك من الاجر والثواب

الثاني ان كون حكم الفعل مجمعا عليه أو مختلفا فيه أمور خارجة عن الفعل وصفاته وانما هي أمور اضافية بحسب ما عرض لبعض العلماء من عدم العلم واللفظ العام ان أريد به الخاص فلا بد من نصب دليل يدل على التخصيص إما مقترن بالخطاب عند من لا يجوّز تأخير البيان وإما موسع في تأخيره الى حين الحاجة عند الجمهور ولا ذلك ان المخاطبين بهذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا محتاجين الى معرفة حكم الخطاب فلو كان المراد باللفظ العام في لعنة آكل الربا والمحلل ونحوهما المجمع على تحريمه وذلك لا يعلم الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وتكلم الامة في جميع افراد ذلك العام لكان قد أخر بيان كلامه الى ان تكلم جميع الامة في جميع أفراده وهذا لا يجوز

الثالث أن هذا الكلام انما خوطبت الامة به لتعرف الحرام فتجتنبه ويستندون في اجتماعهم اليه ويحتجون في نزاعهم به فلو كانت الصورة المرادة هى ما أجمعوا عليه فقط لكان العلم بالمراد موقوفا على الاجماع فلا يصح الاحتجاج به قبل الاجماع فلا يكون مستنداً للاجماع لان مستند الاجماع يجب ان يكون متقدما عليه فيمتنع تأخره عنه فانه يفضى الى الدور الباطل فان أهل الاجماع حينئذ لايمكنهم الاستدلال بالحديث على صورة حتى يعلموا أنها مرادة ولا يعلمون أنها مرادة حتى يجتمعوا فصار الاستدلال موقوفا على الاجماع قبله والاجماع موقوفا على الاستدلال قبله اذا كان الحديث هو مستندهم فيكون الشئ موقوفا على نفسه فيمتنع وجوده ولايكون حجة في محل الخلاف لانه لم يرد وهذا تعطيل للحديث عن الدلالة على الحكم في محل الوفاق والخلاف وذلك مستلزم أن لا يكون شئ من النصوص التى فيها تغليظ للفعل أفادنا تحريم ذلك الفعل وهذا باطل قطعاً

الرابع ان هذا يستلزم ان لا يحتج بشئ من هذه الأحاديث الا بعد العلم بان الأمة أجمعت على تلك الصورة فاذاً الصدر الأول لا يجوز أن يحتجوا بها بل ولا يجوز ان يحتج بها من يسمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم و يجب على الرجل اذا سمع مثل هذا الحديث ووجد كثيراً من العلماء قد عملوا به ولم يعلم له معارض ان لا يعمل به حتى يبحث عنه هل في اقطار الارض من يخالفه كما لا يجوز له ان يحتج في مسئلة بالاجماع الا بعد البحث التام واذاً يبطل الاحتجاج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجرد خلاف واحد من المجتهدين فيكون قول الواحد مبطلا لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته محققة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان ذلك الواحد قد أخطأ صار خطأه مبطلا لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كله باطل بالضرورة فانه إن قيل لايحتج به الا بعد العلم بالاجماع صارت دلالة النصوص موقوفة على الاجماع وهو خلاف الاجماع وحينئذ فلا يبقى للنصوص دلالة فان المعتبر انما هو الاجماع والنص عديم التأثير فان قيل يحتج به اذ لايعلم وجود الخلاف فيكون قول واحد من الامة مبطلا لدلالة النص وهذا أيضا خلاف الاجماع وبطلانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام

الخامس انه اما ان يشترط في شمول الخطاب اعتقاد جميع الامة للتحريم أو يكتفى باعتقاد العلماء فان كان الاول لم يجز ان يستدل على التحريم باحاديث الوعيد حتى يعلم

ان جميع الامة حتى الناشئين بالبوادى البعيدة والداخلين في الاسلام من المدة القريبة قد اعتقدوا ان هذا محرم وهذا لا يقوله مسلم بل ولا عاقل فان العلم بهذا الشرط متعذر وان قيل يكتفى باعتقاد جميع العلماء قيل له انما اشترطت اجتماع العلماء حذرا من ان يشمل الوعيد لبعض المجتهدين وان كان مخطئا وهذا بعينه موجود فيمن لم يسمع دليل التحريم من العامة فان محذور شمول اللعنة لهذا كمحذور شمول اللعنة لهذا ولا ينجى من هذا الالزام ان يقال ذلك من أكابر الامة وفضلاء الصديقين وهذا من اطراف الامة فان افتراقهما من هذا الوجه لا يمنع اشتراكهما في هذا الحكم فان الله سبحانه كما غفر للمجتهد اذا أخطأ غفر للجاهل اذا أخطأ ولم يمكنه التعلم بل المفسدة التى تحصل بفعل واحد من العامة محرما لم يعلم تحريمه ولم يمكنه معرفة تحريمه أقل بكثير من المفسدة التى تنشأ من احلال بعض الائمة لما قد حرمه الشارع وهو لم يعلم تحريمه ولم يمكنه معرفة تحريمه ولهذا قيل احذروا زلة العالم فانه اذا زل زل بزلته عالم قال ابن عباس رضى الله عنهما ويل للعالم من الاتباع فاذا كان هذا معفوا عنه مع عظم المفسدة الناشئة من فعله فلأن يعفى عن الآخر مع خفة مفسدة فعله أولى نعم يفترقان من وجه آخر وهو ان هذا اجتهد فقال باجتهاد وله من نشر العلم واحياء السنة ما تنغمر فيه هذه المفسدة وقد فرق الله بينهما من هذا الوجه فأثاب المجتهد على اجتهاده وأثاب العالم على علمه ثوابا لم يشركه فيه ذلك الجاهل فهما مشتركان في العفو مفترقان في الثواب ووقوع العقوبة على غير المستحق ممتنع جليلا كان أو حقيرا فلا بد من إخراج هذا الممتنع من الحديث بطريق يشمل القسمين

السادس ان من أحاديث الوعيد ما هو نص في صورة الخلاف مثل لعنة المحلل له فان من العلماء من يقول ان هذا لا يأثم بحال فانه لم يكن ركنا في العقد الأول بحال حتى يقال لعن لاعتقاده وجوب الوفاء بالتحليل فمن اعتقد أن نكاح الأول صحيح وان بطل الشرط فانها تحل للثانى جرد الثانى عن الأثم بل وكذلك المحلل فأنه إما أن يكون ملعونا على التحليل أو على اعتقاده وجوب الوفاء بالشرط المقرون بالعقد فقط أو على مجموعهما فان كان الاول أو الثالث حصل الغرض وان كان الثانى فهذا الاعتقاد هو الموجب للعنة سواء حصل هناك تحليل أو لم يحصل وحينئذ فيكون المذكور في الحديث ليس هو سبب اللعنة وسبب اللعنة لم يتعرض له وهذا باطل ثم هذا المعتقد وجوب الوفاء ان كان جاهلا فلا لعنة عليه وان كان عالما بانه لا يجب فمحال ان يعتقد

الوجوب الا ان يكون مراغما للرسول صلى الله عليه وسلم فيكون كافراً فيعود معنى الحديث الى لعنة الكفار والكفر لااختصاص له بانكار هذا الحكم الجزئى دون غيره فان هذا بمنزلة من يقول لعن الله من كذب الرسول في حكمه بأن شرط الطلاق في النكاح باطل ثم هذا كلام عام عموما لفظيا ومعنويا وهو عموم مبتدأ ومثل هذا العموم لايجوز حمله على الصور النادرة اذ الكلام يعود لكنة وعياً كتأويل من يتأول قوله ايما امرأة نكحت من غير اذن وليها على المكاتبة وبيان ندوره ان المسلم الجاهل لايدخل في الحديث والمسلم العالم بان هذا الشرط لايجب الوفاء به لايشترطه معتقداً وجوب الوفاء به الا ان يكون كافراً والكافر لاينكح نكاح المسلمين الا ان يكون منافقا وصدور هذا النكاح على مثل هذاالوجه من اندر النادر ولو قيل ان مثل هذه الصورة لايكاد يخطر ببال المتكلم لكان القائل صادقا وقد ذكرنا الدلائل الكثيرة في غير هذا الموضع على ان هذا الحديث قصد به المحلل القاصد وان لم يشترط وكذلك الوعيد الخاص من اللعنة والنار وغير ذلك قد جاء منصوصا في مواضع مع وجود الخلاف فيها مثل حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج قال الترمذى حديث حسن وزيارة النساء رخص فيها بعضهم وكرهها بعضهم ولم يحرمها وحديث عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لعن الله الذين يأتون النساء في محاشهن وحديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الجالب مرزوق والمحتكر ملعون وقد تقدم حديث الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وفيهم من منع فضل مائه وقد لعن بائع الخمر وقد باعها بعض المتقدمين

وقد صح عنه من غير وجه انه قال من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة. وقال ثلاثة لايكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب مع ان طائفة من الفقهاء يقولون ان الجر والاسبال للخيلاء مكروه غير محرم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواصلة والموصولة وهو من أصح الاحاديث وفي وصل الشعر خلاف معروف. وكذلك قوله ان الذى يشرب في آنية الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ومن العلماء من لم يحرم ذلك

السابع إن الموجب للعموم قائم والمعارض المذكور لايصلح أن يكون معارضا لأن غايته أن يقال حمله على صور الوفاق والخلاف يستلزم دخول بعض من لايستحق اللعن فيه فيقال اذا كان التخصيص على خلاف الاصل فتكثيره على خلاف الاصل فيستثنى من هذا العموم من كان معذورا بجهل أو اجتهاد أو تقليد مع ان الحكم شامل لغير المعذورين كما هو شامل لصور الوفاق فان هذا التخصيص اقل فيكون أولى

الثامن انا اذا حملنا اللفظ على هذا كان قد تضمن ذكر سبب اللعن ويبقى المستثنى قد تخلف الحكم عنه لمانع ولا شك ان من وعد وأوعد ليس عليه ان يستثنى من تخلف الوعد او الوعيد في حقه لمعارض فيكون الكلام جاريا على منهاج الصواب أما اذا جعلنا اللعن على فعل المجمع على تحريمه أو سبب اللعن هو الاعتقاد المخالف للاجماع كان سبب اللعن غير مذكور في الحديث مع ان ذلك العموم لابد فيه من التخصيص ايضاً فاذا كان لابد من التخصيص على التقديرين فالتزامه على الأول أولى لموافقة وجه الكلام وخلوه عن الاضمار

التاسع ان الموجب لهذا انما هو نفي تناول اللعنة للمعذور وقد قدمنا فيما مضى ان أحاديث الوعيد انما المقصود بها بيان أن ذلك الفعل سبب لتلك اللعنة فيكون التقدير هذا الفعل سبب اللعن فلو قيل هـذا لم يلزم منـه تحقق الحكم في حق كل شخص لكن يلزم منه قيام السبب اذا لم يتبعه الحكم ولا محذور فيه وقد قررنا فيما مضى أن الذم لايلحق المجتهـد حتى انا نقول ان محلل الحرام أعظم إثما من فاعله ومع هذا فالمعذور معذور فان قيـل فمن المعاقب فان فاعل هذا الحرام اما مجتهـد أو مقلد له وكلاهما خارج عن العقوبة

قلنا الجواب من وجوه • أحدها ان المقصود بيان أن هذا الفعل مقتض للعقوبة سواء وجـد من يفعله أولم يوجد فاذا فرض انه لافاعـل الا وقد انتفى فيه شرط العقوبة أو قد قام به مايمنعها لم يقدح هذا في كونه محرما بل نعلم انه محرم ليجتنبه من يتبين له التحريم ويكون من رحمة الله بمن فعل قيام عذر له وهذا كما ان الصغائر محرمة وان كانت تقع مكفرة باجتناب الكبائر وهـذا شأن جميع المحرمات المختلف فيها فان تبين أنها حرام وان كان قد يعذر من يفعلها مجتهدا أو مقلدا فان ذلك لايمنعنا أن نعتقد تحريمها الثاني ان بيان الحكم سبب لزوال الشبهة المانعة من لحوق العقاب فان العذر الحاصل بالاعتقاد ليس المقصود بقاؤه بل المطلوب زواله بحسب الامكان ولولا هذا لما وجب

بيان العلم ولكان ترك الناس على جهلهم خيرا لهم ولكان ترك دلائل المسائل المشتبهة خيرا من بيانها الثالث ان بيان الحكم والوعيد سبب لثبات المجتنب على اجتنابه ولولا ذلك لانتشر العمل بها الرابع ان هذا العذر لايكون عذرا الا مع العجز عن ازالته والا فمتى أمكن الانسان معرفة الحق فقصر فيها لم يكن معذورا الخامس انه قد يكون في الناس من يفعله غير مجتهد اجتهادا يبيحه ولا مقلدا تقليدا يبيحه فهذا الضرب قد قام فيه سبب الوعيد من غير هذا المانع الخاص فيتعرض للوعيد ويلحقه الا أن يقوم فيه مانع آخر من توبة أو حسنات ماحية أو غير ذلك ثم هذا مضطرب قد يحسب الانسان ان اجتهاده أو تقليده مبيح له أن يفعل ويكون مصيبا في ذلك تارة ومخطئاً أخرى لكن متى تحرى الحق ولم يصده عنه اتباع الهوى فلا يكلف الله نفسا الا وسعها

العاشر انه ان كان ابقاء هذه الاحاديث على مقتضياتها مستلزما لدخول بعض المجتهدين تحت الوعيد فكذلك اخراجها عن مقتضياتها مستلزم لدخول بعض المجتهدين تحت الوعيد واذا كان لازما على التقديرين بقي الحديث سالما عن المعارض فيجب العمل به

بيان ذلك ان كثيرا من الائمة صرحوا بأن فاعل الصورة المختلف فيها ملعون منهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فانه سئل عمن تزوجها ليحلها ولم تعلم بذلك المرأة ولا زوجها فقال هذا سفاح وليس بنكاح لعن الله المحلل والمحلل له وهذا محفوظ عنه من غير وجه وعن غيره منهم الامام أحمد بن حنبل فانه قال اذا أراد الاحلال فهو محلل وهو ملعون وهذا منقول عن جماعات من الائمة في صور كثيرة من صور الخلاف في الخمر والربا وغيرهما فان كانت اللعنة الشرعية وغيرها من الوعيد الذى جاء لم يتناول الا محل الوفاق فيكون هؤلاء قد لعنوا من لا يجوز لعنه فيستحقون من الوعيد الذى جاء في غير حديث مثل قوله صلى الله عليه وسلم لعن المسلم كقتله وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رضى الله عنه سباب المسلم فسوق وقتاله كفر • متفق عليهما وعن أبى الدرداء رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الطعانين واللعانين لايكونون يوم القيامة شفعاء ولا شهداء • وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاينبغى لصديق أن يكون لعانا رواهما مسلم • وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذى رواه الترمذى

وقال حديث حسن وفي أثر آخر • مامن رجل يلعن شيأ ليس له بأهل الاحارت اللعنة عليه فهذا الوعيد الذى قد جاء في اللعن حتى قيل ان من لعن من ليس بأهل كان هو الملعون وان هذا اللعن فسوق وأنه مخرج عن الصديقية والشفاعة والشهادة يتناول من لعن من ليس بأهل فاذا لم يكن فاعل المختلف فيه داخلا في النص لم يكن أهلا فيكون لاعنه مستوجبا لهذا الوعيد فيكون أولئك المجتهدون الذين رأوا دخول محل الخلاف في الحديث مستوجبين لهذا الوعيد فاذا كان المحذور ثابتا على تقدير اخراج محل الخلاف وتقدير بقائه علم انه ليس بمحذور ولا مانع من الاستدلال بالحديث وان كان المحذور ليس ثابتا على واحد من التقديرين فلا يلزم محذور ألبتة وذلك انه اذا ثبت التلازم وعلم أن دخولهم على تقدير الوجود مستلزم لدخولهم على تقدير العدم فالثابت أحد الأمرين إما وجود الملزوم واللازم وهو دخولهم جميعا أو عدم اللازم والملزوم وهو عدم دخولهم جميعا لأنه اذا وجد الملزوم وجد اللازم واذا عدم اللازم عدم الملزوم

وهذا القدر كاف في ابطال السؤال لكن الذى نعتقده ان الواقع عدم دخولهم على التقديرين على ماتقرر • وذلك ان الدخول تحت الوعيد مشروط بعدم العذر في الفعل واما المعذور عذرا شرعيا فلا يتناوله الوعيد بحال والمجتهد معذور بل مأجور فينتفى شرط الدخول فى حقه فلا يكون داخلا سواء اعتقد بقاء الحديث على ظاهره أو ذلك خلافا يعذر فيه وهذا إلزام مفحم لامحيد عنه الا الى وجه واحد وهو أن يقول السائل أنا أسلم أن من العلماء المجتهدين من يعتقد دخول مورد الخلاف في نصوص الوعيد ويوعد على مورد الخلاف بناء على هذا الاعتقاد فيلعن مثلا من فعل ذلك الفعل لكن هو مخطىء في هذا الاعتقاد خطأ يعذر فيه ويؤجر فلا يدخل في وعيد من لعن بغير حق لأن ذلك الوعيد هو عندى محمول على لعن محرم بالاتفاق فمن لعن لعنا محرما بالاتفاق تعرض للوعيد المذكور على اللعن واذا كان اللعن من موارد الاختلاف لم يدخل في أحاديث الوعيد كما ان الفعل المختلف في حله ولعن فاعله لايدخل في أحاديث الوعيد فكما أخرجت محل الخلاف من الوعيد الاول أخرج محل الخلاف من الوعيد الثانى واعتقد ان أحاديث الوعيد في كلا الطرفين لم تشمل محل الخلاف لافي جواز الفعل ولا في جواز لعنة فاعله سواء اعتقد جواز الفعل أو عدم جوازه فانى على التقديرين لاأجوز لعنة فاعله ولا أجوز لعنة من لعن فاعله ولا اعتقد الفاعل ولااللاعن

داخلا في حديث وعيد ولا أغلظ على اللاعن اغلاظ من يراه متعرضا للوعيد بل لعنه لمن فعل المختلف فيه عندى من جملة مسائل الاجتهاد وأنا أعتقد خطأه في ذلك كما قد أعتقد خطأ المبيح فان المقالات في محل الخلاف ثلاثة . احدها القول بالجواز . والثانى القول بالتحريم ولحوق الوعيد . والثالث القول بالتحريم الخالى من هذا الوعيد الشديد

وانا قد اختار هذا القول الثالث لقيام الدليل على تحريم الفعل وعلى تحريم لعنة فاعل المختلف فيه مع اعتقادى ان الحديث الوارد في توعد الفاعل وتوعد اللاعن لم يشمل هاتين الصورتين فيقال للسائل ان جوزت أن تكون لعنة هذا الفاعل من مسائل الاجتهاد جاز أن يستدل عليها بالظاهر المنصوص فانه حينئذ لاأمان من ارادة محل الخلاف من حديث الوعيد والمقتضى لارادته قائم فيجب العمل به وان لم يجوز أن يكون من مسائل الاجتهاد كان لعنه محرما تحريما قطعيا . ولا ريب ان من لعن مجتهدا لعنا محرما تحريما قطعيا كان داخلا في الوعيد الوارد للاعن وان كان متأولا كمن لعن بعض السلف الصالح فثبت ان الدور لازم سواء قطعت بتحريم لعنة فاعل المختلف فيه أو سوغت الاختلاف فيه وذلك الاعتقاد الذى ذكرته لايدفع الاستدلال بنصوص الوعيد على التقديرين وهذا بين . ويقال له أيضا ليس مقصودنا بهذا الوجه تحقيق تناول الوعيد لمحل الخلاف وانما المقصود تحقيق الاستدلال بحديث الوعيد على محل الخلاف والحديث أفاد حكمين التحريم والوعيد وما ذكرته انما يتعرض لنفى دلالته على الوعيد فقط والمقصود هنا انما هو بيان دلالته على التحريم فاذا التزمت ان الاحاديث المتوعدة للاعن لاتتناول لعنا مختلفا فيه لم يبق في اللعن المختلف فيه دليل على تحريمه وما نحن فيه من اللعن المختلف فيه كما تقدم فاذا لم يكن حراما كان جائزا أو يقال فاذا لم يقم دليل على تحريمه لم يجز اعتقاد تحريمه والمقتضى لجوازه قائم وهي الاحاديث اللاعنة لمن فعل هذا وقد اختلف العلماء في جواز لعنته ولا دليل على تحريم لعنته على هذا التقدير فيجب العمل بالدليل المقتضى لجواز لعنته السالم عن المعارض وهذا يبطل السؤال فقد دار الأمر على السائل من جهة أخرى وانما جاء هذا الدور الآخر لان عامة النصوص المحرمة للعن متضمنة للوعيد فان لم يجز الاستدلال بنصوص الوعيد على محل الخلاف لم يجز الاستدلال بها على لعن مختلف فيه كما تقدم

ولو قال انا استدل على تحريم هذه اللعنة بالاجماع قيل له الاجماع منعقد على تحريم لعنة معين من أهل الفضل أما لعنة الموصوف فقد عرفت الخلاف فيه وقد تقدم ان

لعنة الموصوف لاتستلزم إصابة كل واحد من افراده الا اذا وجدت الشروط وارتفعت الموانع وليس الامر كذلك . ويقال له أيضا كل ماتقدم من الادلة الدالة على منع حمل هذه الاحاديث على محل الوفاق ترد هنا وهى تبطل هذا السؤال هنا كما أبطلت أصل السؤال وليس هذا من باب جعل الدليل مقدمة من مقدمات دليل آخر حتى يقال هذا مع التطويل انما هو دليل واحد اذالمقصود منه أن نبين ان المحذور الذى ظنوه هو لازم على التقديرين فلا يكون محذورا فيكون دليل واحد قد دل على ارادة محل الخلاف من النصوص وعلى انه لامحذور في ذلك وليس بمستنكر ان يكون الدليل على مطلوب مقدمة في دليل مطلوب آخر وان كان المطلوبان متلازمين

الحادى عشر ان العلماء متفقون على وجوب العمل بأحاديث الوعيد فيما اقتضته من التحريم فانما خالف بعضهم في العمل بآحادها في الوعيد خاصة فاما في التحريم فليس فيه خلاف معتد محتسب وما زال العلماء من الصحابة والتابعين والفقهاء بعدهم رضى الله عنهم أجمعين في خطابهم وكتابهم يحتجون بها في موارد الخلاف وغيره بل اذا كان في الحديث وعيد كان ذلك أبلغ في اقتضاء التحريم على ماتعرفه القلوب وقد تقدم أيضا التنبيه على رجحان قول من يعمل بها في الحكم واعتقاد الوعيد وانه قول الجمهور وعلى هذا فلا يقبل سؤال يخالف الجماعة

الثانى عشر ان نصوص الوعيد من الكتاب والسنة كثيرة جدا والقول بموجبها واجب على وجه العموم والاطلاق من غير ان يعين شخص من الاشخاص فيقال هذا ملعون ومغضوب عليه أومستحق للنار لاسيما ان كان لذلك الشخص فضائل وحسنات فان من سوى الانبياء يجوز عليهم الصغائر والكبائر مع امكان أن يكون ذلك الشخص صديقا أو شهيدا أو صالحا لما تقدم أن موجب الذنب يتخلف عنه بتوبة أو استغفار أو حسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو شفاعة أو لمحض مشيئته ورحمته فاذا قلنا بموجب قوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) وقوله تعالى (لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) الى غير ذلك من آيات الوعيد أو قلنا بموجب قوله صلى الله عليه وسلم . لعن الله من شرب الخمر أو عق والديه أو من غير

منار الارض أولعن الله السارق أولعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه أولعن الله لاوى الصدقة والمعتدى فيها أومن أحدث في المدينة حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين أو من جر ازاره بطرا لم ينظر الله اليه يوم القيامة أو لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ومن غشنا فليس منا أو من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فالجنة عليه حرام أو من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال امرء مسلم لقى الله وهو عليه غضبان أومن استحل مال امرء مسلم بيمين كاذبة فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة أو لايدخل الجنة قاطع الى غير ذلك من أحاديث الوعيد لم يجز ان نعين شخصا ممن فعل بعض هذه الافعال ونقول هذا المعين قد أصابه هذا الوعيد لامكان التوبة وغيرها من مسقطات العقوبة ولم يجز أن نقول هذا يستلزم لعن المسلمين ولعن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أولعن الصديقين أوالصالحين لانه يقال الصديق والصالح متى صدرت منه بعض هذه الافعال فلا بد من مانع يمنع لحوق الوعيد به مع قيام سببه ففعل هذه الامور ممن يحسب انها مباحة باجتهاد أو تقليد أو نحو ذلك غايته ان يكون نوعا من أنواع الصديقين الذين امتنع لحوق لوعيد بهم لمانع كما امتنع لحوق الوعيد به لتوبة أو حسنات ماحية أو غير ذلك

واعلم أن هذه السبيل هى التى يجب سلوكها فان ماسواها طريقان خبيثان أحدهما القول بلحوق الوعيد لكل فرد من الافراد بعينه ودعوى ان هذا عمل بموجب النصوص وهذا أقبح من قول الخوارج المكفرين بالذنوب والمعتزلة وغيرهم وفساده معلوم بالاضطرار وأدلته معلومة في غير هذا الموضع . الثانى ترك القول والعمل بموجب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنا أن القول بموجبها مستلزم للطعن فيما خالفها وهذا الترك يجر الى الضلال واللحوق بأهل الكتابين الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فاتبعوهم وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم ويفضى الى طاعة المخلوق في معصية الخالق ويفضى الى قبح العاقبة وسوء التأويل المفهوم من فحوى قوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

ثم ان العلماء يختلفون كثيرا فان كان كل خبر فيه تغليظ خالفه مخالف ترك القول

بما فيه من التغليظ أو ترك العمل به مطلقا لزم من هذا من المحذور ما هو أعظم من أن يوصـف من الكفر والمروق من الدين وان لم يكن المحذور من هذا أعظم من الذى قبـله لم يكن دونه فلا بد أن نؤمن بالكتاب ونتبع ما أنزل الينا من ربنا جميعه ولا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض وتلين قلوبنا لاتباع بعض السنة وتنفر عن قبول بعضـها بحسب العادات والاهواء فان هذا خروج عن الصراط المستقيم الى صراط المغضوب عليهم والضالين

والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه من القول والعمل في خير وعافية لنا
ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه
المنتخبين وأزواجه أمهات المؤمنين والتابعين
لهـم باحسان الى يوم الدين
وسـلم تسليما
كثيرا

تمت رسالة رفع الملام ويليها رسالة تنوع العبادات

﴿ رسالة تنوع العبادات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل العبادات التى جاءت على وجوه متنوعة قد تقدم القول في مواضع ان العبادات التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم على أنواع يشرع فعلها على جميع تلك الانواع لا يكره منها شئ وذلك مثل أنواع التشهدات وأنواع الاستفتاح ومثل الوتر أول الليل وآخره ومثل الجهر بالقراءة في قيام الليل والمخافتة وأنواع القراآت التى أنزل القرآن عليها والتكبير في العيد ومثل الترجيع في الأذان وتركه ومثل إفراد الاقامة وتثنيتها وقد بسطنا في جواب مسائل الزرعية وغيرها ان ما اختلف فيه العلماء وأراد الانسان أن يحتاط فيه فهو نوعان أحدهما ما اتفقوا فيه على جواز الامرين ولكن تنازعوا أيهما أفضل والثانى ما تنازعوا في جواز أحدهما وكثير مما تنازعوا فيه قد جاءت السنة فيه بالأمرين مثل الحج قيل لايجوز فسخ الحج الى العمرة بل قيل ولا يجوز المتعة وقيل بل ذلك واجب والصحيح ان كليهما جائز فان النبى صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة في حجة الوداع بالفسخ وقد كان خيرهم بين الثلاثة وقد حج الخلفاء بعده ولم يفسخوا كما بسط في موضعه وكذلك الصوم في السفر قيل لايجوز بل يجب الفطر والصحيح الذى عليه الجمهور جواز الامرين ثم قال كثير منهم ان الصوم أفضل والصحيح ان الفطر أفضل الا لمصلحة راجحة وما قال احد إنه لايجوز الفطر كما يظنه بعض الجهال وهذا مبسوط في مواضع والمقصود هنا ان ما جاءت به السنة على وجوه كالأذان والاقامة وصلوات الخوف والاستفتاح فالكلام فيه من مقامين احدهما في جواز تلك الوجوه كلها بلا كراهة وهذا هو الصواب وهو مذهب أحمد وغيره في هذا كله ومن العلماء من قد يكره أو يحرم بعض تلك الوجوه لظنه ان السنة لم تأت به أو انه منسوخ كما كره طائفة الترجيع في الأذان وقالوا انما قاله لأبى محذورة تلقيناً للاسلام لا تعليما للاذان والصواب ان جعله من الأذان وهذا هو الذى فهمه أبو محذورة وقد عمل بذلك هو وولده والمسلمون يقرونهم على ذلك بمكة وغيرها وكره طائفة الأذان بلا ترجيع وهو غلط أيضا فان أذان بلال الثابت ليس فيه ترجيع وكره طائفة ترجيعها وكره طائفة صلاة الخوف الاعلى حديث بن عمر وكره آخرون ما أمر به هؤلاء والصواب في هذا كله ان كل ما جاءت به السنة فلا كراهة لشئ منه

بل هو جائز وهذا مبسوط في مواضع والمقصود هنا هو المقام الثاني وهو ان مافعله النبي صلى الله عليه وسلم من أنواع متنوعة وان قيل ان بعض تلك الانواع أفضل فالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في ان يفعل هذا تارة وهذا تارة أفضل من لزوم أحد الامرين وهجر الآخر • وهذا مثل الاستفتاح ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قلت يارسول الله أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول قال أقول اللهم بعد بيني وبين خطاياى كما بعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد ولم يخرج البخارى في الاستفتاح شيأ الا هذا وهو أقوى الحجج على الاستفتاح في المكتوبة فانه صريح في ذلك بقوله أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة وهذا سؤال عن السكوت لا عن القول سراً ويشهد له حديث سمرة وحديث أبيّ بن كعب انه كان له سكتتان وأيضا فللناس في الصلاة أقوال أحدها انه لا سكوت فيها كقول مالك ولا يستحب عنده استفتاح ولا استعاذة ولا سكوت لقراءة الامام والثاني انه ليس فيها الا سكوت واحد للاستفتاح كقول أبي حنيفة لان هذا الحديث يدل على هذه السكتة والثالث ان فيها سكتتين كما في حديث السنن لكن روى فيه انه يسكت اذا فرغ من القراءة وهو الصحيح وروى اذا فرغ من الفاتحة فقال طائفة من أصحاب الشافعى وأحمد يستحب ثلاث سكتات • وسكتة الفاتحة جعلها أصحاب الشافعى وطائفة من أصحاب أحمد ليقرأ المأموم الفاتحة والصحيح انه لا يستحب الا سكتتان فليس في الحديث الا ذلك واحدى الروايتين غلط والا كانت ثلاثة وهذا هو المنصوص عن أحمد وانه لا يستحب الا سكتتان والثانية عند الفراغ من القراءة للاستراحة والفصل بينها وبين الركوع واما السكوت عقيب الفاتحة فلا يستحبه أحمد كما لا يستحبه مالك وأبو حنيفة والجمهور لا يستحبون أن يسكت الامام ليقرأ المأموم وذلك ان قراءة المأموم عندهم اذا جهر الامام ليست بواجبة ولا مستحبة بل هى منهى عنها وهل تبطل الصلاة اذا قرأ مع الامام فيه وجهان في مذهب أحمد فهو اذا كان يسمع قراءة الامام فاستماعه أفضل من قراءته كاستماعه لما زاد على الفاتحة فيحصل له مقصود القراءة والاستماع بدل عن قراءته فجمعه بين الاستماع والقراءة جمع بين البدل والمبدل ولهذا لم يستحب أحمد وجمهور أصحابه قراءته في سكتات الامام الا أن يسكت سكوتا بليغا يتسع للاستفتاح والقراءة واما ان ضاق عنهما فقوله وقول أكثر أصحابه ان الاستفتاح أولى من القراءة بل هو في احدى الروايتين يأمر بالاستفتاح مع جهر

الامام فاذا كان الامام ممن يسكت عقيب الفاتحة سكوتا يتسع للقراءة فالقراءة فيه أفضل
من عدم القراءة لكن هل يقال القراءة فيه بالفاتحة أفضل للاختلاف في وجوبها أو
بغيرها من القرآن لكونه قد استمعها هذا فيه نزاع ومقتضى نصوص أحمد وأكثر أصحابه
ان القراءة بغيرها أفضل فانه لا يستحب أن يقرأبها مع استماعه قراءتها وعامة السلف
الذين كرهوا القراءة خلف الامام هو فيما اذا جهر ولم يكن أكثر الائمة يسكت عقب
الفاتحة سكوتا طويلا وكان الذى يقرأ حال الجهر قليل وهذا منهى عنه بالكتاب والسنة وعلى
النهي عنه جمهور السلف والخلف وفي بطلان الصلاة بذلك نزاع ومن العلماء من يقول
يقرأ حال جهره بالفاتحة وان لم يقرأ بها ففى بطلان صلاته أيضاً نزاع فالنزاع من الطرفين
لكن الذين ينهون عن القراءة مع الامام هم جمهور السلف والخلف ومعهم الكتاب
والسنة الصحيحة والذين أوجبوها على المأموم في حال الجهر هكذا فحديثهم قد ضعفه
الائمة ورواه أبو داود وقوله في حديث أبى موسى واذا قرأ فانصتوا صححه أحمد
واسحق ومسلم بن الحجاج وغيرهم وعلله البخارى بانه اختلف فيه وليس ذلك بقادح
في صحته بخلاف ذلك الحديث فانه لم يخرج في الصحيح وضعفه ثابت من وجوه وانما
هو قول عبادة بن الصامت بل يفعل في سكوته مايشرع من الاستفتاح والاستعاذة ولولم
يسكت الامام سكوتا يتسع لذلك أولم يدرك سكوته فهل يستفتح ويستعيذ مع جهر
الامام فيه ثلاث روايات احداها يستفتح ويستعيذ مع جهر الامام وان لم يقرأ لان
مقصود القراءة حصل بالاستماع وهو لايسمع استفتاحه واستعاذته اذ كان الامام يفعل
ذلك سرا والثانية يستفتح ولا يستعيذ لان الاستعاذة تراد للقراءة وهو لايقرأ وأما
الاستفتاح فهو تابع لتكبيرة الافتتاح والثالثة لايستفتح ولا يستعيذ وهو أصح وهو قول
أكثر العلماء كمالك والشافعى وكذا أبو حنيفة فيما أظن لأنه مأمور بالانصات والاستماع
فلا يتكلم بغير ذلك ولانه ممنوع من القراءة فكذا يمنع من ذلك وكثير من العلماء من
أصحاب أحمد وغيرهم يقول منعه أولى لان القراءة واجبة وقد سقطت بالاستماع لكن
مذهب أحمد ليس منعه من القراءة أوكد فان القراءة عنده لاتجب على المأموم لاسرا
ولا جهرا وان اختلف في وجوبها على المأموم فقد اختلف في وجوب الاستفتاح
والاستعاذة وفي مذهبه في ذلك قولان مشهوران • ومن حجة من يأمر بهما عند
الجهر أنهما واجبان لم يجعل عنهما بدل بخلاف القراءة فانه جعل منها بدل وهو الاستماع
لكن الصحيح ان ذلك ليس بواجب والاستعاذة انما أمر بها من يقرأ والامر باستماع

قراءة الامام والانصات له مذكور في القرآن وفي السنة الصحيحة وهو اجماع الامة فيما زاد على الفاتحة وهو قول جماهير السلف من الصحابة وغيرهم في الفاتحة وغيرها وهو احد قولى الشافعى واختاره طائفة من حذاق أصحابه كالرازى وأبى محمد بن عبد السلام فان القراءة مع جهر الامام منكر مخالف للكتاب والسنة وما كان عليه عامة الصحابة ولكن طائفة من أصحاب أحمد استحبوا للمأموم القراءة في سكتات الامام ومنهم من استحب أن يقرأ بالفاتحة وان جهر وهو اختيار جدى كما استحب ذلك طائفة منهم الاوزاعى وغيره واستحب بعضهم للامام أن يسكت عقب الفاتحة ليقرأ من خلفه وأحمد لم يستحب هذا السكوت فانه لايستحب القراءة اذا جهر الامام وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان سكوت الاستفتاح ثبت بهذا الحديث الصحيح ومع هذا فعامة العلماء من الصحابة ومن بعدهم يستحبون الاستفتاح بغيره كما يستحب جمهورهم الاستفتاح بقوله سبحانك اللهم وقد بينا سبب ذلك في غير هذا الموضع وهو ان فضل بعض الذكر على بعض هو لاجل مااختص به الفاضل لالاجل اسناده والذكر ثلاثة أنواع أفضله ما كان ثناء على الله ثم ما كان انشاء من العبد أو اعترافا بما يجب لله عليه ثم ما كان دعاء من العبد فالاول مثل النصف الاول من الفاتحة ومثل سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولااله غيرك ومثل التسبيح في الركوع والسجود والثانى مثل قوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ومثل قوله في الركوع والسجود اللهم لك ركعت ولك سجدت وكما في حديث علىّ الذى رواه مسلم والثالث مثل قوله اللهم بعد بينى وبين خطاياى ومثل دعائه في الركوع والسجود ولهذا أوجب طائفة من أصحاب أحمد ما كان ثناء كما أوجبوا الاستفتاح وحكي في ذلك عن أحمد روايتان واختار ابن بطة وغيره وجوب ذلك وهذا لبسطه موضع آخر والمقصود هنا ان النوع المفضول مثل الاستفتاح الذى رواه أبو هريرة ومثل الاستفتاح بوجهت أو سبحانك اللهم عند من يفضل الآخر فعله احيانا أفضل من المداومة على نوع وهجر نوع وذلك ان أفضل الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيح انه كان يقول في خطبة الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن يداوم على استفتاح واحد قطعاً فان حديث أبى هريرة يدل على انه كان يستفتح بهذا فان قيل كان يداوم عليه فكانت المداومة عليه أفضل قلنا لم يقل هذا أحد من العلماء فيما علمناه فعلم انه لم يكن يداوم عليه وأيضا فقد كان عمر

يجهر بسبحانك اللهم وبحمدك يعلمها الناس ولولا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقولها في الفريضة مافعل ذلك عمر واقره المسلمون وكما كان بعضهم يجهر بالاستعاذة وكذلك قيل في جهر جماعة منهم بالبسملة انه كان لتعليم الناس قراءتها كما جهر من جهر منهم بالاستعاذة والاستفتاح وكما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة ولهذا كان الصواب هو المنصوص عن أحمد انه يستحب الجهر احيانا بذلك فيستحب الجهر بالبسملة احيانا ونص قوم على انه كان يجهر بها اذا صلى بالمدينة فظن القاضى ان ذلك لان أهل المدينة شيعة يجهرون بها وينكرون على من لم يجهر بها لان القاضى لما حج كان قد ظهر بها التشيع واستولى عليها وعلى أهل مكة العبيديون المصريون وقطعوا الحج من العراق مدة وانما حج القاضى من الشام والصواب ان أحمد لم يأمر بالجهر لذلك بل لان أهل المدينة على عهده كانوا لا يقرأون بها سرا ولا جهرا كما هو مذهب مالك فأراد ان يجهر بها كما جهر بها من جهر من الصحابة تعليماً للسنة وانه يستحب قراءتها في الجملة وقد استحب أحمد أيضا لمن صلى بقوم لا يقنتون بالوتر وأرادوا من الأمام أن لا يقنت لتأليفهم فقد استحب ترك الافضل لتأليفهم وهذا يوافق تعليل القاضى فيستحب الجهر بها اذا كان المأمومون يختارون الجهر لتأليفهم ويستحب أيضا اذا كان فيه اظهار السنة وهم يتعلمون السنة منه ولا ينكرونه عليه وهذا كله يرجع الى أصل جامع وهو ان المفضول قد يصير فاضلا لمصلحة راجحة واذا كان المحرم كأكل الميتة قد يصير واجبا للمصلحة الراجحة ودفع الضرر فلأن يصير المفضول فاضلا لمصلحة راجحة أولى وكذلك يقال في أجناس العبادات كالصلاة جنسها أفضل من جنس القراءة والذكر ثم انها منهى عنها في أوقات النهى فالقراءة والذكر والدعاء في ذلك الوقت أفضل من الصلاة وكذلك الدعاء في مشاعر الحج بعرفة ومزدلفة ومنى والصفا والمروة أفضل من القراءة أيضا بالنص والاجماع فان النبي صلى الله عليه وسلم قال انى نهيت ان أقرأ القرآن راكعا وساجدا وهذا في الصحيح من حديث ابن عباس ومن حديث على أيضا انه نهاه عن ذلك ولو قرأ هل تبطل صلاته فيه وجهان في مذهب أحمد فالنهى عن الصلاة والقراءة في المشاعر الفضيلة (١)

والقراءة فان الطهارة شرط في الصلاة ولا يشترط له الطهارة ولكل مكان عبادة تشرع وكذلك ترك الصلاة وقت النهى مشروع في كل زمان وأما الطواف فهل تكره فيه القراءة فيه قولان مشهوران للعلماء وهما روايتان عن أحمد والرخصة مذهب

(١) بياض بالاصل

الشافعى بل هو يستحب فيه القراءة ولا يستحب الجهر بها وللاخرى مصنف واذا
كان هذا من أجناس العبادات التى ثبت فضل بعضها على بعض بالنص والاجماع فكيف في
أنواع الذكر لاسيما فيما فيه نزاع فالاصل بلا ريب هدى النبى صلى الله عليه وسلم وقد ثبت أنه
كان يستفتح بهذا الاستفتاح الذى في حديث أبى هريرة فالافضل أن يستفتح به أحيانا
ويستفتح بغيره أحيانا وأيضا فلكل استفتاح حاجة ليست لغيره فيأخذ المؤمن بحظه من كل ذكر
وأيضا فقد يحتاج الانسان الى المفضول ولا يكفيه الفاضل كما في قل هو الله أحد فانها تعدل
ثلث القرآن أى يحصل لصاحبها من الأجر مايعدل ثواب ثلث القرآن في القدر لا في
الصفة فان ما في القرآن من الأمر والنهى والقصص والوعد والوعيد لا يغنى عنه قل
هو الله أحد وليس أجرها من جنس أجرها وان كان جنس أجر قل هو الله أحد
أفضل فقد يحتاج الى المفضول حيث لا يغنى الفاضل كما يحتاج الأنسان الى رجله حيث
لا تغنى عنه عينه وكذلك المخلوقات لكل مخلوق حكمة خلق لأجلها فكذلك العبادات
فجميع ما شرعه الرسول له حكمة ومقصود ينتفع به مقصوده فلا يهمل ما شرعه من
المستحبات وان قيل ان جنس غيره أفضل فهو من زمانه ومكانه أفضل من غيره
والصلوات التى كان يدعو فيها بهذا الاستفتاح كان دعاؤه بهذ الاستفتاح أفضل من غيره
وهو دعاؤه بالطهارة والتنقية من الذنوب والتبعيد عنها من جنس الاستغفار في السحر
وكاستغفاره عقب الصلاة وقد كان يدعو بمثل هذا الدعاء في آخر قيام الاعتدال بعد
التحميد فكان يفتتح القيام تارة ويختم به القيام أيضا وقد روى عنه في الاستفتاح أنواع
وعامتها في قيام الليل كما ذكر ذلك أحمد ويستحب للمصلى بالليل ان يستفتح بها كلها
وهذا أفضل من أن يداوم على نوع ويهجر غيره فان هذا هدى النبى صلى الله عليه
وسلم لكن يقال أيضا هدى النبى صلى الله عليه وسلم هو أفضل ومن الناس من لا
يصلح له الأفضل بل يكون فعله للمفضول أنفع كمن ينتفع بالدعاء دون الذكر أو بالذكر
دون القراءة أو بالقراءة دون صلاة التطوع فالعبادة التى ينتفع بها فيحضر لها قلبه ويرغب
فيها ويحبها أفضل من عبادة يفعلها مع الغفلة وعدم الرغبة كالغذاء الذى يشتهيه الانسان
وهو جائع هو أنفع له من غذاء لا يشتهيه أو يأكله وهو غير جائع فكذلك يقال هنا
قد تكون مداومته على النوع المفضول أنفع لمحبته وشهود قلبه وفهمه ذلك الذكر ونحن
اذا قلنا التنوع في هذه الأذكار أفضل فهو أيضا تفضيل لجنس التنوع والمفضول قد
يكون أنفع لبعض الناس لمناسبته له كما قد يكون جنسه في الشرع أفضل في بعض

الأمكنة والازمنة والأحوال فالمفضول تارة يكون أفضل مطلقا في حق جميع الناس كما تقدم وقد يكون أفضل لبعض الناس لأن انتفاعه أتم وهذه حال أكثر الناس قد ينتفعون بالمفضول لمناسبته لاحوالهم الناقصة مالا ينتفعون بالفاضل الذى لا يصلون الى أن يكونوا من أهله

(فصل) وكذلك صلاة الخوف اذا صلى مرة على وجه ومرة على وجه كان أتبع من حفظ وجه وترك آخر وقد يكون على وجه أفضل في وقت لمناسبة حاله حال ذلك الوقت وربما كان بعض الذكر والدعاء في بعض الاوقات أفضل كذلك فقد يكون في حال يكون الاستغفار أنفع له وفي حال يكون اقراره لله بالتوحيد أفضل له وفي حال يكون تسبيحه وتحميده وتهليله وتكبيره أفضل له والذين يستحبون بعض المشروع ويكرهون بعضه فان الله سبحانه يقيم طائفة تقول هذا وطائفة تقول هذا وطائفة تقول هذا ويتنازعون فان بسبب النزاع تظهر كل طائفة من السنة ما قالت به وتركته الأخرى كالمختلفين في البسملة هل تجب ويجهر بها أم تكره قراءتها سرا وجهرا يحتاج أولئك أن يظهروا ما يدل على أنها من القرآن آية مفردة تبعا للسور ويحتاج أولئك أن يظهروا ما يدل على أنها ليست من السور ولا تجب قراءتها وكلا القولين حق وسورة اقرأ هى أول ما نزل من القرآن وقد احتج بها كل من الطائفتين وفيها حجة لما معه من الحق فالذين قالوا ليست من السورة قالوا ان جبريل لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم لم يأمره بقراءتها بل أمره ان يقرأ بسم ربك الذى خلق ولو كانت هى أول السورة لأمره بها وهذا ثابت في الصحيحين من حديث عائشة والذين قالوا بقراءتها قالوا قد قال (إقرأ باسم ربك الذى خلق) فهذا أمر لكل قارئ أن يقرأ باسم ربه فاذا قيل اذبح بسم الله وكل بسم الله واركبوا بسم الله فمعناه اذكر اسم الله اذا فعلت ذلك فلما قال إقرأ باسم ربك كان أمراً للقارئ أن يذكر اسم الله فيقول باسم الله وهذا أولى من ذكر اسم ربه عند الذبح والأكل والشرب وهنا قد أمر بالاستعاذة أيضا عند القراءة وهو اذا قال باسم الله الرحمن الرحيم فقد امتثل ما أمر به فذكر اسم ربه اذا قرأ وانما لم يذكرها جبريل ابتداء لأنه بعد لم يتعلم شيئاً من القرآن ولكن علمه هذا وأمره فيه بذكر اسم ربه اذا قرأ فكان بعد هذا اذا قرأ السورة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم كما ثبت في صحيح مسلم انه قال قد أنزل على آنفا سورة ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم (انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو

الأبتر) ولكن هذه على أنها تبع للقرآن المقصود لما فيها من ذكر الله ولهذا كتبت في المصاحف مفردة عن السورة لم تخلط بها فهى قرآن مكتوب في المصاحف لكن أنزلت تبعا لغيره والمقصود غيره فلهذا أفردت في الكتابة والتلاوة ففى الكتابة تكتب مفردة وفي التلاوة كان النبي صلى الله عليه وسلم لايجهر بها ولم يجعلها من القرآن المفروض في الحديث الصحيح بقوله يقول الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين نصفها لي ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد (الحمد الله رب العالمين) قال الله حمدنى عبدى فاذا قال (الرحمن الرحيم) قال أثنى على عبدى فاذا قال (مالك يوم الدين) قال مجدنى عبدى الى آخر الحديث وهذا قول جمهور العلماء في البسملة أنها آية من القرآن مفردة وليست من السورة وانه يقرأ بها في الصلاة سرا فلا تخرج من القرآن وتهجر ولاتشبه بالقرآن المقصود فتجهر وهى تشبه الاستعاذة من بعض الوجوه لكن الاستعاذة ليست بقرآن ولم تكتب في المصاحف انما فيه الأمر بالأستعاذة وهذه قرآن والفاتحة سبع آيات بالاتفاق وقد ثبت ذلك بقوله (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) وقد ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فاتحة الكتاب هى السبع المثانى وقد كان كثير من السلف يقول البسملة آية منها ويقرأها وكثير من السلف لا يجعلها منها ويجعل الآية السابعة أنعمت عليهم كما دل على ذلك حديث ابى هريرة الصحيح وكلا القولين حق فهى منها في وجه وليست منها من وجه والفاتحة سبع آيات من وجه تكون البسملة منها فتكون آية ومن وجه لاتكون منها فالآية السابعة أنعمت عليهم لأن البسملة أنزلت تبعاً للسور والمقصود أن يبتدأ القرآن بذكر اسم الله فهى أنزلت في أول السورة تبعا لم تنزل في أواخر السور وكتبت في المصاحف مفردة لكن تبعا لما بعدها لالما قبلها ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم قد أنزلت على آنفا سورة وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر) وفي السنن كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يعلم فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم فمن جهة كونها تابعة للسورة تجعل منها ومن جهة كون المقصود أن يقرأ بسم الله كما يفعل سائر الافعال باسم الله والقرآن المقصود غيرها لم تكن آية من السورة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لاعلم سورة من القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفرله وهى (تبارك الذى بيده الملك) والقراء منهم من يفصل بها بين السورتين ومنهم من لا يفصل لكون القرآن كله كلام

الله فلا يفصلون بها بين السورتين كمن سمى اذا أكل ثم أكل أنواعا من الطعام ومنهم من يسمى في أول كل سورة وهذا أحسن لمتابعته لخط المصحف وهو بمنزلة رفع طعام ووضع طعام فالتسمية عنده أفضل وكذلك من ذبح شاة بعد شاة فالتسمية على كل شاة أفضل واما تلاوتها في أول الفاتحة فهو ابتداء بها القرآن ولهذا اختلف كلام أحمد هل قراءتها في أول الفاتحة واجبة فرض لاتصح الصلاة الا به على روايتين وذكر عنه روايتان في الاستعاذة والاستفتاح فالبسملة أولى بالوجوب ثم وجوبها قد يبتنى على انها من الفاتحة وقد يقال بوجوبها وان لم تكن من الفاتحة كما يوجب من يوجب الاستعاذة والاستفتاح ولهذا لايجعل الجهر بها تبعا لوجوبها بل يوجبها ويستحب المخافتة بها ولو كانت من الفاتحة من كل وجه لكان الجهر ببعض الفاتحة دون بعض بعيدا عن الاصول فاذا جعلت منها من وجه دون وجه اتفقت الادلة والاصول واعطى كل شيء من ذلك صفة ولم يقل أنها من القرآن في أول الفاتحة ولو كقول من لم يجعلها من القرآن في حال الا في سورة النمل وقد قال طائفة انها من القرآن في قراءة دون قراءة لتواتر هذه القرآآت فيقال المتواتر هو الامر الوجودى وهو ماسمعوه من القرآن من الصحابة وبلغوه عن الرسول والقرآن في زمانه لم يكتب ولا كان ترتيب السور على هذا الوجه أمراً واجبا مأمورا به من عند الله بل الامر مفوض في ذلك الى اختيار المسلمين ولهذا كان لجماعة من الصحابة لكل منهم اصطلاح في ترتيب سوره غير اصطلاح الآخر وحينئذ فيكون الذين لايقرؤنها قد اقرأهم الرسول ولم يبسمل وأولئك اقرأهم وبسمل فهذا يدل على جواز الامرين وان كان أحدهما أفضل لايدل على انها في أحد الحرفين ليست من القرآن وانه نهى عن قراءتها فان هـذا جمع بين النقيضين كيف يسوغ قراءتها والنهى عن قراءتها بل هذا يدل على جواز الامرين كالحروف التى ثبتت في قراءة دون قراءة مثل من تحتها ومثل ان الله هو الغنى فالرسول يجوز اثبات ذلك ويجوز حذفه كلاهما جائز في شرعه وبهذا يتبين ان من قال من الفقهاء انها واجبة على قراءة من أثبتها أو مكروهة على قراءة من لم يثبتها فقد غلط بل القرآن يدل على جواز الامرين ومن قرأ باحـدى القرآآت لايقال انه كلما قرأ يجب أن يقرأ بها ومن ترك ماقرأ به غيره لايقول ان قراءة أولئك مكروهة بل كل ذلك جائز بالاتفاق وان رجح كل قوم شيئا وبهذا يتبين ان من أنكر كونها من القرآن بالكلية الا في سورة النمل وقطع بخطأ من أثبتها بناء على أن القرآنية لاتثبت الا بالقطع فهو مخطىء في ذلك ويقال له ولا تنفى الا بالقطع أيضا

ثم يقال له من أثبتها يقطع بانها ثابتة ويقطع بخطأ من نفاها بل التحقيق ان كون الشئ قطعيا أوغير قطعى أمر اضافي والقراآت تدل على جواز الامرين ولكن القراءة بها أفضل وهذا قول جمهور العلماء يجوزون هذا ويرجحون قراءتها ويخفضونها عن غيرها من القرآن لانها تابعة لغيرها والله أعلم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وحسبنا الله ونعم
الوكيل

تمت رسالة تنوع العبادات ويليها رسالة في الرد على النصيرية

رسالة فى الرد على النصيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام وناصر السنة فريد الوقت وبحر العلوم تاج العارفين وكنز المستفيدين لسان المتكلمين وقدوة المحققين بقية المجتهدين وحجة المتأخرين إمام الزاهدين ومنار المجاهدين الامام المحقق النورانى والعالم المجتهد الربانى تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحرّانى رحمه الله عن النصيرية وما يتعلق بهم بمقتضى سؤال حرره الشيخ الامام العالم العامل العلامة المحقق شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمود بن مرى الشافعى رحمه الله وجعله من حزبه المفلحين وعفا عنه وعافاه

صورته

ماتقول السادة العلماء ائمة الدين رضى الله عنهم أجمعين وأعانهم على اظهار الحق المبين واخماد شغب المبطلين في النصيرية القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الارواح وقدم العالم وانكار البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا وبأن الصلوات عبارة عن خمسة أسماء وهى على وحسن وحسين ومحسن وفاطمة فذكر هذه الاسماء الخمسة على رأيهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات وواجباتها وبأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلا واسم ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم ويضيق هذا الموضع عن ابرازهم وبأن إلههم الذى خلق السموات والارض هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فهو عندهم الامام في السماء والامام في الارض فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم أن يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه وبأن النصيرى عندهم لايصير نصيريا يجالسونه ويشربون معه الخمر ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم حتى يخاطبه معلمه وحقيقة الخطاب عندهم أن يحلفوه على كتمان دينه ومعرفة مشايخه وأكابر أهل مذهبه وعلى أن لاينصح مسلما ولا غيره الامن كان من أهل دينه وعلى أن يعرف ربه وإمامه بظهوره في أنواره وأدواره فيعرف انتقال الاسم والمعنى في كل حين وزمان فالاسم عندهم في أول الناس آدم والمعنى هو شيث والاسم يعقوب والمعنى هو يوسف ويستدلون على هذه الصورة كما يزعمون بما في القرآن العظيم حكاية عن يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام فيقولون أما يعقوب فانه كان الاسم فما قدر أن يتعدى منزلته فقال

سوف أستغفر لكم ربي واما يوسف فكان المعنى المطلوب فقال لاتثريب عليكم اليوم فلم يعلق الأمر بغيره لانه علم انه هو الامام المتصرف ويجعلون موسى هو الاسم ويوشع هو المعنى ويقولون يوشع ردت له الشمس لما أمرها فاطاعت أمره وهل ترد الشمس الالربها ويجعلون سليمان هو الاسم وآصف هو المعنى ويقولون سليمان عجز عن احضار عرش بلقيس وقدر عليه آصف لان سليمان كان الصورة وآصف كان المعنى القادر المقتدر وقد قال قائلهم

هابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون الصفا حيدر

ويعدون الانبياء والمرسلين واحداواحدا على هذا النمط الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون محمد هو الاسم وعلي هو المعنى ويوصلون العدد على هذا الترتيب في كل زمان الى وقتنا هذا فمن حقيقة الخطاب في الدين عندهم ان عليا هو الرب وان محمدا هو الحجاب وان سلمان هو الباب وأنشد بعض أكابر رؤسائهم وفضلائهم لنفسه في شهور سنة سبع مائة فقال

أشهد أن لا إله الا حيدرة الانزع البطين
ولا حجاب عليه الا محمد الصادق الامين
ولا طريق اليه الا سلمان ذو القوة المتين

ويقولون ان ذلك على هذا الترتيب لم يزل ولا يزال وكذلك الخمسة الايتام والاثنى عشر نقيبا وأسماؤهم مشهورة عندهم ومعلومة من كتبهم الخبيثة وانهم لايزالون يظهرون مع الرب والحجاب والباب في كل كور ودور ابداً سرمداً على الدوام والاستمرار ويقولون ان ابليس الابالسة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويليه في رتبة الابليسية أبو بكر رضى الله عنه ثم عثمان رضى الله عنهم أجمعين وشرفهم وأعلى رتبتهم عن أقوال الملحدين وانتحال أنواع الضالين والمفسدين فلا يزالون موجودين في كل وقت دائما حسبما ذكر من الترتيب ولمذاهبهم الفاسدة شعب وتفاصيل ترجع الى هذه الاصول المذكورة وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم ومن عامة الناس أيضاً في هذا الزمان لان أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الافرنج المخذولين على البلاد الساحلية فلما جاءت أيام الاسلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم والابتلاء بهم كثير جدا فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم وهل يحل أكل ذبائحهم والحالة هذه أم لا وما حكم الجبن المعمول من

انفحة ذبيحتهم وما حكم اوانيهم وملابسهم وهل يجوز دفنهم بين المسلمين أم لا وهل يجوز استخدامهم في ثغور المسلمين وتسليمها اليهم أم يجب على ولى الامر قطعهم واستخدام غيرهم من المسلمين الكفاة واذا استخدمهم وأقطعهم أولم يقطعهم هل يجوز له صرف أموال بيت المال عليهم وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة وأموالهم حلال أم لا واذا جاهدهم ولى الامر أيده الله تعالى باخماد باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين وحذر أهل الاسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم وألزمهم بالصوم والصلاة ومنعهم من اظهار دينهم الباطل وهم يلونه من الكفار هل ذلك أفضل وأكثر اجرا من التصدى والترصد لقتال التتار في بلادهم وهدم بلادسيس وديار الافرنج على أهلها أم هذا أفضل من كونه يجاهد النصيرية المذكورين مرابطا ويكون أجر من رابط في الثغور على ساحل البحر خشية قصد الفرنج أكبر أم هذا أكبر أجرا وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على ابطال باطلهم واظهار الاسلام بينهم فلعل الله تعالى أن يهدى بعضهم الى الاسلام وأن يجعل من ذريتهم وأولادهم ناسا مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم أم يجوز التغافل عنهم والاهمال وما قدر اجر المجاهد على ذلك والمجاهد فيه والمرابط له والملازم عليه ولتبسطوا القول في ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى انه على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل

أجاب شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية وقال * الحمد لله رب العالمين هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنة أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم فان هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا رسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهى ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا باحد من المسلمين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولا بملة من الملل السالفة بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن من جنس ماذكره السائل ومن غير هذا الجنس فانهم ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الالحاد في اسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه إذ مقصودهم انكار الايمان وشرائع الاسلام بكل طريق مع التظاهر بأن لهذه الامور حقائق يعرفونها من جنس ماذكر السائل ومن جنس قولهم إن

الصلوات الخمس معرفة أسرارهم أو الصيام المفروض كتمان أسرارهم وحج البيت العتيق زيارة شيوخهم وان يدا أبى لهب هما ابو بكر وعمر وان النبأ العظيم والامام المتين هو علىّ بن أبى طالب ولهم في معاداة الاسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة فاذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين كما قتلوا مرة الحجاج والقوهم في بئر زمزم وأخذوا مرة الحجر الاسود وبقى عندهم مدة وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وأمرائهم وجندهم مالا يحصى عدده الا الله تعالى وصنفوا كتبا كثيرة مما ذكره السائل وغيره وصنف علماء المسلمين كتبا في كشف أسرارهم وهتك أستارهم وبينوا فيها ماهم عليه من الكفر والزندقة والالحاد الذين هم به أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الاصنام وما ذكره السائل في وصفهم قليل من الكثير الذى يعرفه العلماء من وصفهم ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية انما استولى عليها النصارى من جهتهم وهم دائما مع كل عدو للمسلمين فهم مع النصارى على المسلمين ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ومن أعظم أعيادهم اذا استولى والعياذ بالله تعالى النصارى على ثغور المسلمين ومازالت بأيدى المسلمين حتى جزيرة قبرص يسر الله فتحها عن قريب وفتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فتحها معاوية بن أبى سفيان الى أثناء المائة الرابعة، فهؤلاء المحادين لله ورسوله كثروا بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره فان أحوالهم كانت من أعظم الاسباب في ذلك ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد وصلاح الدين وأتباعهما وفتحوا السواحل من النصارى ممن كان بها منهم وفتحوا أيضا أرض مصر فانهم كانوا مستولين عليها نحو مائتين سنة واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الاسلام بالديار المصرية والشامية ثم ان التتار مادخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين الا بمعاونتهم وموازرتهم فان مرجع هؤلاء الذى كان وزيرهم وهو النصير الطوسى كان وزيراً لهم بالألموت وهو الذى أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء ولهم القاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون الملاحدة وتارة يسمون القرامطة وتارة يسمون الباطنية وتارة يسمون الاسماعيلية وتارة يسمون النصيرية وتارة يسمون الخرمية وتارة يسمون المحمرة وهذه الاسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض

أصنافهم كما ان الاسلام والايمان يعم المسلمين ولبعضهم اسم يخصه اما النسب واما المذهب واما البلد واما لغير ذلك وشرح مقاصدهم يطول كما قال العلماء فيهم ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الانبياء والمرسلين لا بنوح ولا ابراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا بشيء من كتب الله المنزلة لا التوراة ولا الانجيل ولا القرآن ولا يقرون بأن للعالم خالقا خلقه ولا بأن له دينا أمر به ولا ان له داراً يجزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطاعنين والالهيين وتارة يبنونه على قول الفلاسفة وقول المجوس الذين يعبدون النور ويضمون الى ذلك الرفض ويحتجون لذلك من كلام النبوات اما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول ماخلق الله العقل والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ولفظه إن الله لما خلق العقل فقال له أقبل فاقبل فقال له أدبر فادبر فيحرفون لفظه ويقولون أول ما خلق الله العقل ليوافقوا قول المتفلسفة اتباع أرسطو في أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل واما بلفظ ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحرفونه عن مواضعه كما يصنع أصحاب رسائل إخوان الصفا ونحوهم فانهم من ائمتهم وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار ذلك في كتب طوائف من المنتسبين الى العلم والدين وان كانوا لا يوافقونهم على أصول الدعوة النهائية وهي درجات متعددة ويسمون النهاية البلاغ الاكبر والناموس الأعظم ومضمون البلاغ الأكبر جحد الخالق تعالى والاستهزاء به وبمن يقر به حتى قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله وفيه أيضا جحد شرائعه ودينه وما جاء به الانبياء ودعوى أنهم من جنسهم طالبين للرياسة فمنهم من أحسن في طلبها ومنهم من أساء في طلبها حتى قتل ويجعلون محمداً وموسى من القسم الاول ويجعلون المسيح من القسم الثاني وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش مايطول وصفه ولهم اشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضا وهم اذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل الايمان فقد يخفون على من لا يعرفهم وأما اذا كثروا فانه يعرفهم عامة الناس فضلا عن خاصتهم وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن ينكح الرجل موليته منهم ولا يتزوج منهم امرأة ولا تباح ذبائحهم وأما

الجبن المعمول بانفحتهم ففيه قولان مشهوران للعلماء كسائر أنفحة الميتة وكأنفحة ذبيحة المجوس وذبيحة الفرنج الذين يقال عنهم أنهم لا يزكون الذبائح فمذهب أبى حنيفة وأحمد في احدى الروايتين أنه يحل هذا الجبن لان أنفحة الميت طاهرة على هذا القول لان الانفحة لاتموت بموت البهيمة وملاقاة الوعاء النجس في الباطن لاينجس ومذهب مالك والشافعى وأحمد في الرواية الاخرى ان هذا الجبن نجس لان انفحة هؤلاء نجسة لان لبن انفحتها عندهم نجس ومن لاتوكل ذبيحته فذبيحته كالميتة وكل من أصحاب القولين يحتج بآثار ينقلها عن الصحابة فاصحاب القول الاول نقلوا انهم أكلوا جبن المجوس وأصحاب القول الثانى نقلوا انهم أكلوا ماكانوا يظنون انه من جبن النصارى فهذه مسئلة اجتهاد للمقلد أن يقلد من يفتى باحد القولين واما أوانيهم وملابسهم فكاوانى المجوس وملابس المجوس على ماعرف من مذاهب الائمة والصحيح في ذلك ان أوانيهم لاتستعمل الابعد غسلها فان ذبائحهم ميتة فلا بد أن تصيب أوانيهم المستعملة مايطبخونه من ذبائحهم فتنجس بذلك فاما الآنية التى لايغلب على الظن وصول النجاسة اليها فتستعمل من غير غسل كآنية اللبن التى لايضعون فيها طبيخهم أويغسلونها قبل وضع اللبن فيها وقد توضأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه من جرة نصرانية فما شك في نجاسته لم يحكم بنجاسته بالشك ولايجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلى على من مات منهم فان الله سبحانه وتعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين كعبد الله بن أبى ونحوه وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والصيام والجهاد مع المسلمين ولا يظهرون مقالة تخالف دين الاسلام لكن يسرون ذلك فقال الله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) فكيف بهؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والالحاد واما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فانه من الكبائر وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعى الغنم فانهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة وهم شر من المخامر الذى يكون في العسكر فان المخامر قد يكون له غرض إما مع أمير العسكر واما مع العدو وهؤلاء مع الملة ونبيها ودينها وملوكها وعلمائها وعامتها وخاصتها وهم أحرص الناس على تسليم الحصون الى عدو المسلمين وعلى افساد الجند على ولى الأمر واخراجهم عن طاعته ويحل لولاة الامور قطعهم من دواوين المقاتلة فلا يتركون في

ثغر ولا في غير ثغر فان ضررهم في الثغر أشد وأن يستخدم بدلهم من يحتاج الى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الاسلام وعلى النصح لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم بل اذا كان ولى الامر لايستخدم من يغشه وان كان مسلما فكيف بمن يغش المسلمين كلهم ولا يجوز له تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه بل أى وقت قدر على الأستبدال بهم وجب عليه ذلك وأما اذا استخدموا وعملوا العمل المشروط عليهم فلهم إما المسمى واما أجرة المثل لأنهم عوقدوا على ذلك فان كان العقد صحيحا وجب المسمى وان كان فاسدا وجبت أجرة المثل وان لم يكن استخدامهم من جنس الاجارة اللازمة فهى من جنس الجعالة الجائزة لكن هؤلاء لايجوز استخدامهم فالعقد عقد فاسد فلا يستحقون الاقيمة عملهم فان لم يكونوا عملوا عملا له قيمة فلا شئ لهم لكن دمائهم وأموالهم مباحة واذا أظهروا التوبة ففى قبولها منهم نزاع بين العلماء فمن قبل توتهم اذا التزموا شريعة الاسلام اقروا لهم عليهم ومن لم يقبلها وورثتهم من جنسهم فان مالهم يكون فيأ لبيت المال لكن هؤلاء اذا أخذوا فانهم يظهرون التوبة لأن أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم وفيهم من يعرف وفيهم من قد لايعرف فالطريق في ذلك ان يحتاط في أمرهم فلا يتركون مجتمعين ولا يمكنون من حمل السلاح وأن يكونوا من المقاتلة ويلزمون شرائع الاسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ويترك بينهم من يعلمهم دين الاسلام ويحال بينهم وبين معلمهم فان أبا بكر الصديق رضى الله عنه وسائر الصحابة لما ظهروا على أهل الردة وجاؤا اليه قال لهم الصديق اختاروا إما الحرب المجلية وإما السلم المخزية قالوا ياخليفة رسول الله هذه الحرب المجلية قدعرفناها فما السلم المخزية قال تدون قتلانا ولا ندى قتلاكم وتشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ونقسم ماأصبنا من أموالكم وتردّون ما أصبتم من أموالنا وتنزع منكم الحلقة والسلاح وتمنعون من ركوب الخيل وتتركون تتبعون أذناب الابل حتى يرى خليفة الله ورسوله والمؤمنين أمرا بعدردتكم فوافقه الصحابة على ذلك الا في تضمين قتلى المسلمين فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له هؤلاء قتلوا في سبيل الله فاجورهم على الله يعنى هم شهداء فلا دية لهم فاتفقوا على قول عمر في ذلك وهذا الذى اتفق الصحابة عليه هو مذهب ائمة العلماء والذين تنازعوا فيه تنازع فيه العلماء فمذهب أكثرهم ان من قتله المرتدون المجتمعون المحاربون لايضمن كما اتفقوا عليه آخراً وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد في احدى الروايتين ومذهب الشافعى وأحمد في الرواية الأخرى وهو القول

الاول فهذا الذى فعله الصحابة بأولئك المرتدين بعد عودهم الى الاسلام يفعل بمن أظهر الاسلام والتهمة ظاهرة فيه فيمنع ان يكون من أهل الخيل والسلاح والدروع التى تلبسها المقاتلة ولا يترك في الجند من يكون يهوديا ولا نصرانيا ويلزمون شرائع ألاسلام حتى يظهر ما يفعلونه من خير أوشر ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أخرج عنهم وسير الى بلاد المسلمين التى ليس لهم بها ظهور فاما ان يهديه الله تعالى واما ان يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين ولاريب أن جهاد هؤلاء واقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب فان جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين والصديق وسائر الصحابة بدؤا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب فان جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وان يدخل فيه من أراد الخروج عنه وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة اظهار الدين وحفظ رأس المال مقدم على الربح وأيضا فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب وضررهم في الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب مايقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد ان يكتم ما يعرفه من اخبارهم بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله فان هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ياأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين) والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الامكان له من الاجر والثواب مالا يعلمه الا الله تعالى فان المقصود بالقصد الاول هو هدايتهم كما قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال أبو هريرة كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الاسلام فالمقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الامكان فمن هداه الله منهم سعد في الدنيا والآخرة ومن لم يهتد كف الله ضرره عن غيره ومعلوم أن الجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو أفضل الأعمال كما قال صلى الله عليه وسلم رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال إن في الجنة مائة درجة ما

بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله وقال صلى الله عليه وسلم رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطا مات مجاهدا وجرى عليه عمله واجرى عليه رزقه من الجنة وأمن الفتنة والجهاد أفضل من الحج والعمرة كما قال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله لايستوون عند الله والله لايهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم)

والحمد لله رب العالمين وصلاته

وسلامه على خير خلقه

سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه

أجمعين

تمت رسالة الرد على النصيرية ويليها زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور

رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى ماتقول السادة العلماء أئمة الدين وعلماء المسلمين رضوان الله عليهم أجمعين

في من يزور القبور ويستنجد بالمقبور في مرض به أو بفرسه أو بعيره يطلب ازالة المرض الذي بهم ويقول ياسيدى أنا في جيرتك أنا في حسبك فلان ظلمنى فلان قصد أذيتى ويقول ان المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالى وفي من ينذر للمساجد والزوايا والمشايخ حيهم وميتهم بالدراهم والابل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك يقول ان سلم ولدى فللشيخ على كذا وكذا وأمثال ذلك وفي من يستغيث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع وفي من يجيء الى شيخه ويستلم القبر ويمرغ وجهه عليه ويمسح القبر بيديه ويمسح بهما وجهه وأمثال ذلك وفي من يقصده بحاجته ويقول يافلان ببركتك أو يقول قضيت حاجتى ببركة الله وبركة الشيخ وفي من يعمل السماع ويجيء الى القبر فيكشف ويحط وجهه بين يدى شيخه على الارض ساجداً وفي من قال أن ثم قطبا غوثا جامعا في الوجود أفتونا مأجورين وابسطوا القول في ذلك

أجاب

الحمد لله رب العالمين* الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لاشريك له واستعانته والتوكل عليه ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار كما قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) وقال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) قالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة قال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم عبادى كما أنتم عبادي ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابى كما تخافون عذابى ويتقربون

الى" كما تتقربون الى" فاذا كان هذا حال من يدعو الانبياء والملائكة فكيف بمن دونهم وقال تعالى (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فبين سبحانه أن من دعا من دون الله من جميع المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم انهم لايملكون مثقال ذرة في ملكه وانه ليس له شريك في ملكه بل هو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وانه ليس له عون يعاونه كما يكون للملك أعوان وظهراء وان الشفعاء عنده لايشفعون الا لمن ارتضى فينتفى بذلك وجوه الشرك وذلك ان من يدعو من دونه إما أن يكون مالكا وإما أن لايكون واذا لم يكن شريكا فاما أن يكون معاونا واما أن يكون سائلا طالبا فالاقسام الاول الثلاثة متنفية واما الرابع فلا يكون الا من بعد اذنه كما قال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وكما قال تعالى (وكم من ملك في السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض) وقال تعالى (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه من ولى ولا شفيع لعلهم يتقون) وقال تعالى (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) فاذا جعل من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كافرا فكيف من اتخذ من دونهم من المشائخ وغيرهم أربابا وتفصيل القول ان مطلوب العبد ان كان من الامور التى لايقدر عليها الا الله تعالى مثل أن يطلب شفاء مرضه من الآدميين والبهائم أووفاء دينه من غير جهة معينة أو عافية أهله ومابه من بلاء الدنيا والآخرة وانتصاره على عدوه وهداية قلبه وغفران ذنبه أو دخوله الجنة أونجاته من النار أو أن يتعلم العلم والقرآن أو ان يصلح قلبه ويحسن خلقه ويزكى نفسه وأمثال ذلك فهذه الامور كلها لايجوز أن تطلب الا من الله تعالى ولا يجوز أن يقول لملك ولا نبى ولا شيخ سواء

كان حيا أو ميتا اغفر ذنبي ولا أنصرني على عدوي ولا أشف مريضي ولا عافني أو عاف أهلي أو دابتي وما أشبه ذلك ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه قال الله تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله الآية) وقال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون) واما مايقدر عليه العبد ويجوز أن يطلب منه في بعض الاحوال دون بعض فان مسئلة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهيا عنها قال الله تعالى (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وأوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله وأوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم طائفة من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا فكان سوط أحدهم يسقط من كفه فلا يقول لاحد ناولني إياه وثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وآله وسلم قال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والاسترقاء طلب الرقية وهو من أنواع الدعاء ومع هذا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما من رجل يدعو له أخوه بظهر الغيب دعوة الا وكل الله بها ملكا كلما دعا لاخيه دعوة قال الملك ولك مثل ذلك ومن المشروع في الدعاء اجابة غائب لغائب ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة عليه وطلبنا الوسيلة له وأخبر بما لنا في ذلك من الاجر اذا دعونا بذلك فقال في الحديث اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فان من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ثم اسألوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه وممن هو دونه فقد روى طلب الدعاء من الاعلى والادنى فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودع عمر الى العمرة وقال لا تنسنا من دعائك ياأخي لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أمرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ذكر أن من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا وان من سأل له الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة فكان طلبه منا لمنفعتنا في ذلك وفرق بين من طلب من غيره شيئا لمنفعة المطلوب منه ومن يسأل غيره لحاجته اليه فقط وثبت في الصحيح انه صلى الله عليه

وآله وسلم ذكر أويس القرني وقال لعمر ان استطعت أن يستغفر لك فافعل وفي الصحيحين انه كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما شيء فقال أبو بكر لعمر استغفر لي لكن في الحديث ان أبا بكر ذكر انه حنق على عمر وثبت ان أقواما كانوا يسترقون وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرقيهم وثبت في الصحيحين ان الناس لما أجدبوا سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستسقي لهم فدعا الله لهم فسقوا وفي الصحيحين أيضا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس فدعا فقال اللهم إنا كنا اذا أجدبنا نتوسل بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فسقوا وفي الحديث ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فسبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لايستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك فاقره على قوله انا نستشفع بك على الله وأنكر عليه نستشفع بالله عليك لان الشافع يسأل المشفوع اليه والعبد يسأل ربه ويستشفع اليه والرب تعالى لايسأل العبد ولايستشفع به* وأما زيارة القبور المشروعة فهو أن يسلم على الميت ويدعوا له بمنزلة الصلاة على جنازته كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقولوا سلام عليكم أهل ديار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لاتحرمنا اجرهم ولاتفتنا بعدهم وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال مامن رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الارد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام والله تعالى يثيب الحي اذا دعا للميت المؤمن كما يثيبه اذا صلى على جنازته ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل ذلك بالمنافقين فقال عز من قائل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) فليس في الزيارة الشرعية حاجة الحي الى الميت ولا مسألته ولا توسله به بل فيها منفعة الحي للميت كالصلاة عليه والله تعالى يرحم هذا بدعاء هذا واحسانه اليه ويثيب هذا على عمله فانه ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الامن ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به من بعده أوولد صالح يدعوا له

(فصل) وأما من يأتي الى قبر نبي أوصالح أومن يعتقد فيه انه قبر نبي أورجل صالح وليس كذلك ويسأله ويستنجده فهذا على ثلاث درجات أحدها أن يسأله حاجته مثل أن

يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابه أو يقضى دينه أو ينتقم له من عدوه أو يعافي نفسه وأهله ودوابه ونحو ذلك مما لايقدر عليه الا الله عز وجل فهذا شرك صحيح يجب أن يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل وان قال أنا أسأله لكونه أقرب الى الله منى ليشفع لي في هذه الامور لأنى أتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه فهذا من أفعال المشركين والنصارى فانهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى وقال سبحانه وتعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تذكرون) وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) فبين الفرق بينه وبين خلقه فان من عادة الناس أن يستشفعوا الى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه فيسأله ذلك الشفيع فيقضى حاجته إما رغبة وإما رهبة واما حياء واما مودة واما غير ذلك والله سبحانه لايشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع فلا يفعل الا ماشاء الله وشفاعة الشافع من اذنه فالامر كله له ولهذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لايقولن أحدكم اللهم اغفرلى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لامكره له فبين ان الرب سبحانه يفعل مايشاء لايكرهه أحد على مااختاره كما قد يكره الشافع المشفوع اليه وكما يكره السائل اذا ألح عليه واذاه بالمسئلة فالرغبة يجب أن تكون اليه كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) والرهبة تكون من الله كما قال تعالى (وإياى فارهبون) وقال تعالى (فلا تخشوا الناس واخشون) وقد أمرنا أن نصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا وقول كثير من الضلال هذا أقرب الى الله منى وأنا بعيد من الله لايمكننى أن أدعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك من أقوال المشركين فان الله تعالى يقول (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) وقد روى أن الصحابة قالوا يارسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله هذه الآية وفي الصحيح أنهم كانوا في سفر وكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ياأيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائبا بل تدعون سميعا قريبا أقرب اليكم أوالى احدكم من

عنق راحلته وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلا منهم أن يقولوا اياك نعبد واياك نستعين وقد أخبر عن المشركين أنهم قالوا إنما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ثم يقال لهذا المشرك أنت اذا دعوت فان كنت تظن انه أعلم بحالك واقدر على عطاء سؤالك أو ارحم بك فهذا جهل وضلال وكفر وان كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم فلم عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره الاتسمع الى ماخرجه البخارى وغيره عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به قال ويسمى حاجته فامر العبد أن يقول استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم وان كنت تعلم انه أقرب الى الله منك وأعلى درجة عند الله منك فهذا حق لكن كلمة حق أريد بها باطل فانه اذا كان أقرب منك وأعلى درجة منك فانما معناه أن يثيبه ويعطيه أكثر مما يعطيك ليس معناه انك اذا دعوته كان الله يقضى حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوت أنت الله تعالى فانك إن كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء مثلا لما فيه من العدوان فالنبى والصالح لايعين على مايكرهه الله ولايسعى فيما يبغضه الله وان لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول وان قلت هذا اذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه اذا دعوته فهذا هو القسم الثانى وهو أن لاتطلب منه الفعل ولا تدعوه ولكن تطلب أن يدعو لك كما تقول للحى أدع لي وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون من النبى صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء فهذا مشروع في الحى كما تقدم وأما الميت من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول أدع لنا ولا اسئل لنا ربك ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر به أحد من الائمة ولا ورد فيه حديث بل الذى ثبت في الصحيح أنهم لما أجدبوا زمن عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم إنا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ولم يجيئوا الى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قائلين يارسول الله ادع الله لنا

واستسق لنا ونحن نشتكي اليك مماأصابنا ونحو ذلك لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط بل هو بدعة ماأنزل الله بها من سلطان بل كانوا اذا جاؤا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلمون عليه فاذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده لاشريك له كما يدعونه في سائر البقاع وذلك أن في الموطأ وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي السنن عنه أنه قال لاتخذوا قبرى عيدا وصلوا على حيث ماكنتم فان صلاتكم تبلغني وفي الصحيح عنه انه قال في مرضه الذى لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا قالت عائشة رضى الله عنها وعن أبويها ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال قبل أن يموت بخمس إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك وفي سنن أبى داود عنه قال لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولهذا قال علماؤنا لايجوز بناء المسجد على القبور وقالوا انه لايجوز أن ينذر لقبر ولاللمجاورين عند القبر شيئا من الاشياء لامن درهم ولا من زيت ولا من شمع ولا من حيوان ولا غير ذلك كله نذر معصية وقد ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه واختلف العلماء هل على الناذر كفارة يمين على قولين ولهذا لم يقل أحد من أئمة السلف ان الصلاة عند القبور وفي مشاهد القبور مستحبة أو فيها فضيلة ولا أن الصلاة هناك والدعاء أفضل من الصلاة في غير تلك البقعة والدعاء بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة في المساجد والبيوت أفضل من الصلاة عند القبور قبور الانبياء والصالحين سواء سميت مشاهد أولم تسم وقد شرع الله ورسوله في المساجد دون المشاهد أشياء فقال تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) ولم يقل المشاهد وقال تعالى (وانتم عاكفون في المساجد) ولم يقل في المشاهد وقال تعالى (قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وقال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه

بخمس وعشرين ضعفا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة وأما القبور فقد ورد نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن اتخاذها مساجد ولعن من يفعل ذلك وقد ذكره غير واحد من الصحابة والتابعين كما ذكره البخارى في صحيحه والطبرانى وغيره في تفاسيرهم وذكره وثيمة وغيره في قصص الانبياء في قوله تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قالوا هذه أسماء قوم صالحين كانوا من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامد فاتخذوا تماثيلهم أصناما وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الاوثان ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو قبر غيره من الانبياء والصالحين أو الصحابة وأهل البيت وغيرهم فانه لا يتمسح به ولا يقبله بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها الا الحجر الاسود وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رضى الله عنه قال والله انى لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلك ماقبلتك ولهذا لا يسن باتفاق الائمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركنى البيت اللذين يليان الحجر ولا جدران البيت ولا مقام ابراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الانبياء والصالحين حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان موجودا فكرهه مالك وغيره لانه بدعة وذكر أن مالكا لما رأى عطاء فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم ورخص فيه أحمد وغيره لان ابن عمر رضى الله عنهما فعله وأما التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه وذلك لانهم علموا ماقصده النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد واخلاص الدين لله رب العالمين وهذا مايظهر به الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والرجل الصالح في حياته وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه وذلك انه في حياته لا يعبده احد بحضوره فاذا كان الانبياء صلوات الله عليهم والصالحون أحياء لا يتركون أحدا يشرك بهم بحضورهم بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه ولهذا قال المسيح عليه السلام ماقلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد وقال رجل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ماشاء الله وشئت فقال أجعلتنى لله ندا ماشاء الله وحده

وقال لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد ولما قالت الجويرية * وفينا رسول الله يعلم مافي غد * قال دعي هذا وقولي بالذى كنت تقولين وقال لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولما صفوا خلفه قياما قال لاتعظمونى كما تعظم الاعاجم بعضهم بعضا وقال أنس لم يكن شىء أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ولما سجد له معاذ نهاه وقال انه لايصلح السجود الا لله ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولما أتى على بالزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الالهية أمر بتحريقهم بالنار فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه وانما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوا في الارض وفسادا كفرعون ونحوه ومشايخ الضلال الذين غرضهم العلو في الارض والفساد والفتنة بالانبياء والصالحين واتخاذهم أربابا والاشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم كما اشرك بالمسيح وعزير فهذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والصالح في حياته وحضوره وبين سؤاله فى مماته ومغيبه ولم يكن أحد من سلف الامة في عصر الصحابة ولا التابعين ولاتابعى التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ويسألونهم ولايستغيثون بهم لافي مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك العكوف ومن أعظم الشرك ان يستغيث الرجل بميت أوغائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب ياسيدى فلان كأنه يطلب منه ازالة ضره أوجلب نفعه وهذا حال النصارى في المسيح وامه واحبارهم ورهبانهم ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم واعلم الناس بقدره وحقه أصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك لافي مغيبه ولا بعد مماته وهؤلاء المشركون يضمون الى الشرك الكذب فان الكذب مقرون بالشرك وقد قال تعالى (واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به) وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله مرتين أو ثلاثا وقال تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين) وقال الخليل عليه السلام أإفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين * فمن كذبهم ان أحدهم يقول عن شيخه ان المريد اذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وانكشف غطاؤه رده عليه وان الشيخ أن لم يكن كذلك لم يكن شيخا وقد تغويهم الشياطين كما تغوى عباد الاصنام كما كان يجرى في العرب في أصنامهم

ولعباد الكواكب وطلاسمها من الشرك والسحر كما يجرى للتتار والهند والسودان وغيرهم من أصناف المشركين من اغواء الشياطين ومخاطبتهم ونحو ذلك فكثير من هؤلاء قد يجرى له نوع من ذلك لاسيما عند سماع المكاء والتصدية فان الشياطين قد تنزل عليهم وقد يصيب أحدهم كما يصيب المصروع من الارغاء والازباد والصياح المنكر ويكلمه بما لا يعقل هو والحاضرون وامثال ذلك مما يمكن وقوعه في هؤلاء الضالين * وأما القسم الثالث وهو ان يقول اللهم بجاه فلان عندك أو ببركة فلان أو بحرمة فلان عندك افعل بى كذا وكذا فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الامة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ولم يبلغنى عن أحد من العلماء في ذلك ما احكيه الاما رأيت فتاوى الفقيه أبى محمد بن عبدالسلام فانه أفتى انه لايجوز لاحد أن يفعل ذلك الاللنبى صلى الله عليه وآله وسلم ان صح الحديث في النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى الاستفتاء قد روى النسائى والترمذى وغيرهما ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يامحمد يارسول الله انى أتوسل بك الى ربى في حاجتى ليقضيها لى اللهم فشفعه في فان هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد مماته قالوا وليس في التوسل دعاء المخلوقين ولا استغاثة بالمخلوق وانما هو دعاء واستغاثة به لكن فيه سؤال بجاهه كما في سنن ابن ماجة عن النبى صلى الله وآله وسلم انه ذكر في دعاء الخارج للصلاة ان يقول اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولارياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفرلى ذنوبى فانه لايغفر الذنوب الا أنت قالوا ففى هذا الحديث انه سأل بحق السائلين عليه وبحق ممشاه الى الصلاة والله تعالى قد جعل على نفسه حقا قال الله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ونحو قوله (كان على ربك وعدا مسؤلا) وفي الصحيح عن معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال له يامعاذ أتدرى ماحق الله على العباد قال الله ورسوله اعلم قال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ أتدرى ماحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك فان حقهم عليه أن لايعذبهم وقد جاء في غير حديث كان حقا على كذا وكذا كقوله من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوما فان تاب تاب الله عليه فان عاد فشربها في الثالثة أو الرابعة كان حقا على

الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال قال عصارة أهل النار وقالت طائفة ليس في هذا جواز التوسل به في مماته وبعد مغيبه بل انما فيه التوسل في حياته بحضوره كما في صحيح البخارى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس فقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وقد بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون وذلك التوسل به انهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم فيدعو لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه كما في الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان بجوار دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله لنا أن يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر قال واقلعت فخرجنا نمشى في الشمس ففى هذا الحديث انه قال ادع الله لنا أن يمسكها عنا وفي الصحيح ان عبد الله بن عمر قال انى لأذكر قول أبى طالب في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فهذا كان توسلهم به في الاستسقاء ونحوه ولما مات توسلوا بالعباس رضى الله عنه كما كانوا يتوسلون به ويستسقون وماكانوا يستسقون به بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره ولا عند قبر غيره وكذلك معاوية بن أبى سفيان استسقى بيزيد بن الاسود الجرشى وقال اللهم انا نستشفع اليك بخيارنا يايزيد ارفع يديك الى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا فلذلك قال العلماء يستحب أن يستسقى باهل الصلاح والخير فاذا كانوا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أحسن ولم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبى والصالح بعد موته ولا في مغيبه ولا استحبوا ذلك في الاستسقاء ولا في الانتصار ولا غير ذلك من الادعية والدعاء مخ العبادة والعبادة مبناها على السنة والاتباع لا على الاهواء والابتداع وانما يعبد الله بما شرع لا يعبد بالاهواء والبدع قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخيفة انه لا يحب المعتدين) وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الدعاء والطهور *وأما الرجل اذا أصابته نائبة

أوخاف شيئا فاستغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع فهذا من الشرك وهو من جنس دين النصارى فان الله هو الذى يصيب بالرحمة ويكشف الضر قال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقال تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده) وقال تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه إن شاء وتنسون ماتشركون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) فبين أن من يدعى من الملائكة والانبياء وغيرهم لايملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا فاذا قال قائل أنا ادعو الشيخ ليكون شفيعالى فهو من جنس النصارى والاحبار والرهبان والمؤمن يرجو ربه ويخافه ويدعوه مخلصا له الدين وحق شيخه أن يدعو له ويترحم عليه فان أعظم الخلق قدرا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه اعلم الناس بامره وقدره وأطوع الناس له ولم يكن يأمر أحدا منهم عندالفزع والخوف أن يقول ياسيدى يارسول الله ولم يكونوا يفعلون ذلك في حياته ولا بعد مماته بل كان يأمرهم بذكر الله ودعائه والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وفي صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الكلمة قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعنى وأصحابه حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم وفي الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول عند الكرب لاإله الا الله العظيم الحليم لاإله الا الله رب العرش الكريم لاإله الاالله رب السموات والارض ورب العرش العظيم وقد روى أنه علم نحو هذا الدعاء بعض أهل بيته وفي السنن أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان اذاحزبه أمر قال ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث وروى أنه علم ابنته فاطمة أن تقول ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض لاإله الا أنت برحمتك أستغيث أصلح لي شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا الى أحد من خلقك وفي مسند الامام أحمد وصحيح أبى حاتم البستى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى الا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا قال يارسول الله أفلا نتعلمهن قال ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن وقال لامته إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله يخوّف بهما عباده فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى الصلاة وذكر الله والاستغفار فامرهم عند الكسوف بالصلاة والدعاء والذكر والعتق والصدقة ولم يامرهم أن يدعوا مخلوقا ولا ملكا ولا نبيا ولا غيرهم ومثل هذا كثير في سنته لم يشرع للمسلمين عند الخوف الا ماأمر الله به من دعاء الله وذكره والاستغفار والصلاة والصدقة ونحو ذلك فكيف يعدل المؤمن بالله ورسوله عما شرع الله ورسوله الى بدعة ماأنزل الله بها من سلطان تضاهى دين المشركين والنصارى فان زعم أحد أن حاجته قضيت بمثل ذلك وانه مثل له شيخه ونحو ذلك فعباد الكواكب والاصنام ونحوهم من أهل الشرك يجرى لهم مثل هذا كما قد تواتر ذلك عمن مضى من المشركين وعن المشركين في هذا الزمان فلولا ذلك ماعبدت الاصنام ونحوها وقال الخليل عليه السلام (واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) ويقال له أول ماظهر الشرك في أرض مكة بعد ابراهيم الخليل من جهة عمرو بن لحى الخزاعى الذى رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجر أمعاءه في النار وهو أول من سيب السوائب وغير دين ابراهيم قالوا إنه ورد الشام فوجدفيها أصناما بالبلقاء يزعمون أنهم ينتفعون بها في جلب منافعهم ودفع مضارهم فنقلها الى مكة وسن للعرب الشرك وعبادة الاصنام والامور التى حرمها الله ورسوله من الشرك والسحر والقتل والزنا وشهادة الزور وغير ذلك من المحرمات قد يكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة أو دفع مضرة ولولا ذلك ماأقدمت النفوس على المحرمات التى لاخير فيها بحال وانما يوقع النفوس في المحرمات الجهل أو الحاجة فاما العالم بقبح الشئ والنهى عنه فكيف يفعله والذين يفعلون هذه الامور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيه من الفساد وقد تكون بهم حاجة اليها مثل الشهوة اليها وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة ولا يعلمون ذلك لجهلهم أو تغلبهم أهواؤهم حتى يفعلوها والهوى غالبا يجعل صاحبه

كأنه لايعلم من الحق شيئا فان حبك للشئ يعمى ويصم ولهـذا كان العالم يخشى الله وقال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن قول الله عز وجل (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) الآية وليس هذا موضع البسط لبيان مافي المنهيات من المفاسد الغالبة وما في المأمورات من المصالح الغالبة بل يكفي المؤمن أن يعلم أن ماأمر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبة ومانهى الله عنه فهو مفسدة محضة أوغالبة وان الله لايأمر العباد بما أمرهم به لحاجته اليهم ونهاهم عن مافيه مفاسدهم ولهذا وصف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بانه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث *وأما التمسح بالقبر أى قبر كان وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهى عنه باتفاق المسلمين ولوكان ذلك من قبور الانبياء ولم يفعل هذا أحد من سلف الامة وائمتها بل هذا من الشرك قال الله تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا)وقد تقدم ان هؤلاء أسماء قوم صالحين كانوا من قوم نوح وأنهم عكفوا على قبورهم مدة ثم طال عليهم الامد فصوروا تماثيلهم لاسيما اذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به وقد تقدم ذكر ذلك وبيان مافيه من الشرك وبينا الفرق بين الزيارة البدعية التى تشبه أهلها بالنصارى وأما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم أو تقبيل الارض ونحو ذلك فانه مما لانزاع فيه بين الائمة في النهى عنه بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله عزوجل منهى عنه ففى المسند وغيره أن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما رجع من الشام سجد للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال ماهذا يامعاذ فقال يارسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لاساقفتهم ويذكرون ذلك عن أنبيائهم فقال كذبوا يامعاذ لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها يامعاذ أرأيت ان مررت بقبرى أكنت ساجدا قال لاقال لاتفعل هـذا أوكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى باصحابه قاعدا من مرض كان به فصلوا قياما فامرهم بالجلوس وقال لاتعظمونى كما تعظم الاعاجم بعضهم بعضا وقال من سره أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار فاذا كان قد نهاهم مع قعوده وان كانوا قاموا في الصلاة حتى لايتشبهوا بمن يقومون لعظمائهم وبين ان من سره القيام له كان من أهل النار فكيف بما فيه السجود له ومن وضع الرأس وتقبيل الايادى وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو خليفة

الله على الارض قد وكل أعوانا يمنعون الداخل من تقبيل الارض ويؤدبهم اذا قبل أحد الارض وبالجملة فالقيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والارض وما كان حقا خالصا لله لم يكن لغيره فيه نصيب مثل الحلف بغير الله عز وجل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان حالفا فليحلف بالله أوليصمت متفق عليه وقال أيضا من حلف بغير الله فقد أشرك فالعبادة كلها لله وحده لاشريك له (وما أمروا الاليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله أمركم واخلاص الدين لله هو أصل العبادة ونبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن الشرك دقه وجله وحقيره وكبيره حتى انه قد تواتر عنه أنه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بالفاظ متنوعة تارة يقول لاتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولاغروبها وتارة ينهى عن الصلاة بعد طلوع الفجر حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس وتارة يذكر أن الشمس اذا طلعت طلعت بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ونهى عن الصلاة في هذا الوقت لما فيه من مشابهة المشركين في كونهم يسجدون للشمس في هذا الوقت وان الشيطان يقارن الشمس حينئذ ليكون السجود له فكيف بما هو شرك ومشابهة للمشركين وقد قال الله تعالى فيما أمر رسوله أن يخاطب به أهل الكتاب (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وذلك لما فيه من مشابهة أهل الكتاب من اتخاذهم بعضهم بعضا أربابا من دون الله ونحن منهيون عن مثل هذا ومن عدل عن هدى نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهدى أصحابه والتابعين لهم باحسان الى ماهو من جنس هدى النصارى فقد ترك ماامر الله به ورسوله* وأما قول القائل انقضت حاجتي ببركة الله وبركتك فمنكر من القول فانه لايقارن بالله في مثل هذا غيره حتى أن قائلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ماشاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا بل ماشاء الله وحده وقال لاصحابه لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد وفي الحديث ان بعض المسلمين رأى قائلا يقول نعم القوم أنتم لولا انكم تنددون أي تجعلون لله ندا يعني تقولون ماشاء الله وشاء محمد فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عن ذلك وفي الصحيح عن زيد بن خالد قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة الفجر بالحديبية في أثر سماء من الليل فقال أتدرون ماذا قال ربكم الليلة قلنا الله ورسوله اعلم قال قال أصبح من عبادى مؤمن بى كافر بالكواكب ومؤمن بالكواكب كافر بى فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب والاسباب التى جعلها الله تعالى أسبابا لاتجعل مع الله شركاء وأنداداً وأعوانا وقول القائل ببركة الشيخ قد يعنى بها دعاءه وأسرع الدعاء اجابة دعاء غائب لغائب وقد يعنى بها بركة ماأمره به وعلمه من الخير وقد يعنى بها بركة معاونته له على الحق وموالاته في الدين ونحو ذلك وهذه كلها معان صحيحة وقد يعنى بها دعاءه للميت والغائب إذ إستقلال الشيخ بذلك التأثير أو فعله لما هو عاجز عنه أو غير قادر عليه أو غير قاصد له متابعته أو مطاوعته على ذلك من البدع المنكرات من هذه المعانى الباطلة والذى لاريب فيه ان العمل بطاعة الله تعالى ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ونحو ذلك هو نافع في الدنيا والآخرة وذلك بفضل الله ورحمته *وأما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الاسلام مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذى يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم حتى يقول أن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في على رضى الله عنه وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فان تاب والا قتل فانه ليس من المخلوقات لاملك ولا بشر يكون امداد الخلائق بواسطته ولهذا كان مايقوله الفلاسفة في العشرة الذين يزعمون أنها الملائكة وما يقوله النصارى في المسيح ونحو ذلك كفرا باتفاق المسلمين وكذلك أعنى بالغوث مايقوله بعضهم من ان في الارض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا يسمونهم النجباء فينتقى منهم سبعون هم النقباء ومنهم أربعون هم الابدال ومنهم سبعة هم الاقطاب ومنهم أربعة هم الاوتاد ومنهم واحد وهو الغوث وانه مقيم بمكة وان أهل الارض اذا نابهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا الى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وأولئك يفزعون الى السبعين والسبعون الى الاربعين والاربعون الى السبعة والسبعة الى الاربعة والاربعة الى الواحد وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الاعداد والاسماء والمراتب فان لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم أنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم خضره

على قول من يقول منهم ان الخضر هو مرتبة وان لكل زمان خضرا فان لهم في ذلك قولين وهذا كله باطل لاأصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قاله أحد من سلف الامة ولا ائمتها ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضى الله عنهم كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة وقد روى بعضهم حديثا في هلال غلام المغيرة ابن شعبة وانه أحد السبعة والحديث باطل باتفاق أهل المعرفة وان كان قد روى بعض هذه الاحاديث أبو نعيم في حلية الاولياء والشيخ أبو عبد الرحمن السلمى في بعض مصنفاته فلا تغتر بذلك فان فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والمكذوب الذى لاخلاف بين العلماء في أنه كذب موضوع وتارة يرويه على عادة بعض أهل الحديث الذين يروون ماسمعوا ولا يميزون بين صحيحه وباطله وكان أهل الحديث لايروون مثل هذه الاحاديث لما ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين وبالجملة فقد علم المسلمون كلهم ان ماينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة والرهبة مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق ودعائهم عند الكسوف والاعتداد لرفع البلاء وامثال ذلك انما يدعون في ذلك الله وحده لاشريك له لايشركون به شيئا لم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم الى غير الله عز وجل بلا واسطة فيجيبهم فتراهم بعد التوحيد والاسلام لايجيب دعاؤهم الا بهذه الواسطة التى ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أوقائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه) وقال تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إياه) وقال تعالى (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه إن شاء وتنسون ماتشركون) وقال (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) والنبى صلى الله عليه وآله وسلم استسقى لاصحابه بصلاة وبغير صلاة وصلى بهم للاستسقاء وصلاة الكسوف وكان يقنت في صلاته فيستنصر على المشركين وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك أئمة الدين ومشايخ المسلمين وما زالوا على هذه الطريقة ولهذا يقال ثلاثة أشياء مالها من أصل باب النصيرية ومنتظر الرافضة وغوث الجهال فان

النصيرية تدعى في الباب الذى لهم ماهو من هذا الجنس انه الذى يقيم العالم فذاك شخصه موجود ولكن دعوى النصيرية فيه باطلة وأما محمد بن الحسن المنتظر والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فانه باطل ليس له وجود وكذلك مايزعمه بعضهم من ان القطب الغوث الجامع يمد أولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا فهذا باطل فابو بكر وعمر رضى الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله ولا يمدانهم فكيف بهؤلاء الضالين المغترين الكذابين ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيد ولد آدم إنما عرف الذين لم يكن رآهم من أمته بسيماء الوضوء وهو الغرة والتحجيل ومن هؤلاء من أولياء الله مالا يحصيه الا الله عز وجل وأنبياء الله الذين هو امامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم بل قال الله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وموسى لم يكن يعرف الخضر والخضر لم يكن يعرف موسى بل لما سلم عليه موسى قال له الخضر وأنى بارضك السلام فقال له أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم وقد كان بلغه اسمه وخبره ولم يكن يعرف عينه ومن قال انه نقيب الاولياء أوانه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل والصواب الذى عليه المحققون انه ميت وانه لم يدرك الاسلام ولو كان موجودا في زمن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره ولكان يكون في مكة والمدينة ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ولم يكن مختفيا عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم ثم ليس للمسلمين به وامثاله حاجة لافي دينهم ولافي دنياهم فان دينهم أخذوه عن الرسول النبى الامى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذى علمهم الكتاب والحكمة وقال لهم نبيهم لوكان موسى حيا ثم أتبعتموه وتركتمونى لضللتم وعيسى بن مريم عليه السلام اذا نزل من السماء إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم فأى حاجة لهم مع هذا الى الخضر وغيره والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أخبرهم بنزول عيسى من السماء وحضوره مع المسلمين وقال كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى في آخرها فاذا كان النبيان الكريمان اللذان هما مع ابراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الامة لاعوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم واذا كان الخضر حيا دائما فكيف لم يذكر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك قط ولا اخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون * وقول القائل إنه نقيب

الاولياء فيقال له من ولاه النقابة وأفضل الاولياء أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس فيهم الخضر وغاية مايحكي في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب و بعضها مبنى على ظن رجال مثل شخص رأى رجلا ظن انه الخضر وقال انه الخضر كما ان الرافضة ترى شخصا تظن انه الامام المنتظر المعصوم أوتدعى ذلك وروى الامام أحمد بن حنبل انه قال وقد ذكر له الخضر من أحالك على غائب فما أنصفك وما ألقى هذا على ألسنة الناس الا الشيطان وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع واما ان قصد القائل بقوله القطب الغوث الفرد الجامع انه رجل يكون أفضل أهل زمانه فهذا ممكن لكن من الممكن أن يكون في الزمان متساويان في الفضل وثلاثة وأربعة وقد تكون جماعة بعضهم أفضل من بعض من وجه وتلك الوجوه اما متقاربة واما متساوية ثم اذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته بالقطب الغوث الجامع بدعة ماأنزل الله بهامن سلطان ولا تكلم بهذا أحد من سلف الامة وائمتها ومازال السلف يظنون في بعض الناس انه أفضل أومن أفضل أهل زمانه ولايطلقون عليه هذه الاسماء التى ماأنزل الله بها من سلطان لاسيما ان من المنتحلين بهذا الاسم من يدعى ان هؤلاء الاقطاب هو الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ثم يتسلسل الامر الى مادونه الى بعض مشايخ المتأخرين وهذا لايصح لاعلى مذهب أهل السنة ولا على مذهب الرافضة فاين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والحسن عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قارب سن التمييز والاحتلام وقد حكى عن بعض الاكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا ان القطب الفرد الجامع ينطبق علمه على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى فيعلم مايعلمه الله ويقدر على مايقدر عليه الله وزعم ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك وان هذا انتقل عنه الى الحسن وتسلسل الى شيخه فبينت أن هذا كفر صريح وجهل قبيح وان دعوى هذا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفر دع ماسواه وقد قال الله تعالى (قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك) وقال تعالى (قل لاأملك لنفسى نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء الآية) وقال تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا الآية) وقال تعالى (يقولون هل لنا من الامر من شئ قل إن الامر كله لله) وقال تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا أويكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ أويتوب عليهم أويعذبهم فانهم ظالمون)

وقال تعالى (انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) والله سبحانه وتعالى أمرنا ان نطيع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وأمرنا أن نتبعه فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وأمرنا أن نعزره ونوقره وننصره وجعل له من الحقوق مابينه في كتابه وسنة رسوله حتى أوجب علينا أن يكون أحب الناس الينا من أنفسنا وأهلينا فقال تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره) وقال صلى الله عليه وآله وسلم والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقال له عمر رضى الله عنه يارسول الله لانت أحب الى من كل شئ الا من نفسى فقال لا ياعمر حتى أكون أحب اليك من نفسك قال فلانت أحب الىّ من نفسى قال الآن ياعمر وقال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقد بين في كتابه حقوقه التى لاتصلح الا له وحقوق رسله وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض كما بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع وذلك مثل قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فالطاعة لله والرسول والخشية والتقوى لله وحده وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا الى الله راغبون) فالايتاء لله والرسول والرغبة لله وحده وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) لأن الحلال ماأحله الله ورسوله والحرام ماحرمه الله ورسوله وأما التحسب فهو لله وحده كما قال (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل حسبنا الله ورسوله وقال تعالى (ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أى يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين وهذا هو الصواب المقطوع به في هذه الآية ولهذا كانت كلمة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام حسبنا الله ونعم الوكيل والله سبحانه وتعالى أعلم واحكم وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمت رسالة زيارة القبور ويليها رسالة معارج الوصول

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ومعه شرح الطوسى عليه وبهامشهما كتاب معالم أصول الدين للرازى
لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات

(كتب أدبيه)

ديوان زهير بن أبى سلمى المزنى مع شرحه للاعلم النحوى الشنتمرى
الصناعتين (النثر والنظم) لابى هلال العسكرى
فقه اللغة وسر العربية للامام الثعالبى
المفصل للعلامة الزمخشرى مع كتاب المفضل شرح شواهد المفصل للسيد محمد بدر الدين النعسانى
شرح شواهد مغنى الليب للعلامة جلال الدين السيوطى مع تراجم شعرائه
ديوان القاضى أبى بكر الارجانى — طبع بيروت
مختار الصحاح — صغير — طبع الاستانه
كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون — طبع الاستانه
الشعر والشعراء لابن قتيبه أو طبقات الشعراء
لطائف اللغة — طبع الاستانه
المخلاه لصاحب الكشكول مع أسرار البلاغة له
تفريج المهج بتلويح الفرج الجامع لثلاث كتب
الاتحاف بحب الاشراف للشبراوى
مفتاح العلوم للامام السكاكى وبهامشه اتمام الدرايه لقراء النقايه للسيوطى
تاريخ الازهر لمصطفى بك بيرم
أدب الدنيا والدين للماوردى

(علوم شتى)

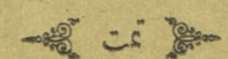
الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام المجتهد المطلق أبى محمد على بن حزم الظاهرى وبهامشه الملل والنحل لابى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى
اللآلى المصنوعه في الاحاديث الموضوعه للجلال السيوطى
ما بعد الطبيعه لابن رشد
فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال له

المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد للاستاذ الشيخ حسن السقا
شرحي الشمائل لملاعلى القارى والشيخ عبد الرؤف المناوى
الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض
الاشارة والايجاز الى ماوقع في القرآن من أنواع المجان لعز الدين بن عبد السلام
منظومة الكواكبي في أصول فقه الحنفيه
كشف الاسرار شرح أصول البزدوى لعبد العزيز البخارى
تأسيس النظر في اختلاف الفقهاء للامام الدبوسى
أفضل الصلوات على سيد السادات للشيخ يوسف النبهانى
شجرة الكون للشيخ الاكبر طبع الاستانه
نثر الدرارى على الفنارى منطق طبع الاستانه
متن الشمسيه في فن المنطق
شرح سعد الدين التفتازانى على الشمسيه
الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن بك الباجوجى وبهامشه كتاب الاجوبه الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة للقرافي وهداية الحيارى من اليهود والنصارى لابن القيم
الدر النضيد من مجموعة الحفيد لشيخ الاسلام الهروى حفيد السعد
رشحات الاقلام شرح كفاية الغلام للنابلسى
مراتب المدلسين للحافظ ابن حجر ومعه الناسخ والمنسوخ من الحديث للحافظ بن الجوزى
تفسير ابن جرير الطبرى وبهامشه تفسير النيسابورى
تفسير الخازن وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر طبع الاستانه
القول الحق لبعض أفاضل علماء الروسيين
النصيحة العامه للبرزنجى
مجموع المتون طبع الاستانه
شرح أسماء أهل بدر واحد مغرب
شرح مطالع الارموى لقطب الدين الرازى طبع الاستانه
المبادى المنطقيه للفيومى
الاجوبة المكيه عن الاسئلة الحجازيه للسيد مكى افندى ابن عزوز

الموعظة الحسنة للزبيدى
عقد الجوهر الثمين في أربعين حديثا من أحاديث سيد المرسلين للعجلونى
قصة المولد النبوى للبرزنجى
الشمائل النبويه للترمذى طبع الاستانه
طلبة الطلبه في لغة الفقهاء طبع الاستانه
الاشباه والنظائر الفقهيه لابن نجيم المصرى
مناقب الامام الاعظم للكردرى مع مناقبه للسرخسى
الخصائص الكبرى للسيوطى
مفتاح كنوز القرآن
المخزون في تسلية المخزون في المحاضرات
ثمرات الحياة في علم الهيئة الاجتماعية
أعلام النبوه للامام الماوردى
دلائل النبوه لابى نعيم صاحب الحليه
حاشية العطار على جمع الجوامع مع تقريرات فضيلة الشيخ الشربينى

فهرس ماتضمنه هذا المجموع من الرسائل

(*)(بعد أن تم لنا طبع هذه الرسائل الثلاث في مجموع مستقل رغب الينا الكثير من زبائننا أن نضمه الى المجموع الاول لينتظم سلكهما في عقد واحد)


تمت

